المصادر الرئيسية للحياة

قال أحد الشعراء « إن العالم يقوم على دعامتين هما الجوع والحب » وليس هذا الكلام ضرباً من الخيال ، ولكنه حقيقة علمية ، فالدافع الذى يدفع كلا من الحيوان والإنسان إلى تلمس رفيق من الجنس الآخر إنما هو ضرورة النسل لاستمرار الحياة .

والجوع هو الإحساس الذى يضطر الأحياء جميعاً إلى الصيد أو العمل للحصول على غذاء يحفظ الجسم ويعوض ما يستهلك من أنسجته يومياً فى مناحى النشاط المختلفة ، ولكن هناك دافعاً آخر للعمل الإنسانى ، وهو « إظهار النفس » وهو الأصل فى الأنانية ، وكذلك فى الإيثار ، وهو المحرك الأكبر للطموح والرغبة فى النجاح والامتياز .

واكتمال الجسم والعقل يتوقف على التمتع بالصحة نتيجة لجودة الغذاء والاطمئنان إلى رفيق موافق ، والطفل خلال الأشهر الأولى من عمره تحكمه رغبتان : هما الحاجة إلى الدفء ، والحاجة إلى الغذاء ، وتحقيق هاتين الرغبتين يهيء للطفل مسرة مثالية ، وفى خلال مرحلة النمو تكون شهية الطفل هى العامل المنشط على الدوام ، فهو يحتاج إلى غذاء كثير لتكوين العظام وبناء الأنسجة ، والمفروض أنه يظل فى حاجة إلى ذلك إذا افترضنا أن الطبيعة الجنسية لا تظهر فى الطفل العادى على أية صورة قبل سن البلوغ أو فى فجر الرجولة أو الأنوثة ، ونحن نعلم أن التهيؤ للزواج فى سن البلوغ عملية طويلة ، تبدأ عادة فى جسم الجنين ، ونعلم أيضاً أن الأطفال يمرون

خلال مراحل من التطور الجسمانى والعقلى تلعب فى خلالها الغريزة الجنسية دوراً هاماً .

والنشاط الذى يفيض عن الحاجة كحفظ الذات وإشباع الجوع ، يستخدم لصالح الطبيعة فى النسل وحفظ النوع ، وليست الغريزة الجنسية بالدافع الوحيد إلى الزواج فى الجنس البشرى ، وإنما هى على كل حال قوة عظيمة يصفها البعض بأنها « نشاط حيوى » ، ويسميها الآخرون « لذة » ، وهى تقترن غالباً بالإحساس الفنى ، فنجد الزواج حتى بين فصائل الحيوان مقترناً بالسرور بالألوان الزاهية ، وتزيين الأعشاش عند الطيور ، وفى الحيوانات العليا يظهر إيثار الذكر لأنثاه ، وهذا الإيثار ينتج عن التعاطف بين الجنسين ، ومن مظاهر العناية الفائقة براحة الأنثى وفروسية الذكر فى دفاعه عنها ومقاومته لأعدائه .

وليس من لغو الحديث أن نقول « إن الحب هو المحور الذى تدور حوله الدنيا » ، فحب العشيرة قانون طبيعى ، وهذا الحب ينبع أصلا من الدافع الجنسى ، فرغبة الرجل فى المرأة كرفيق مفضل وزوج يرعى شئون بيته ، تنشأ أصلا عن الغريزة الجنسية .

والحب ودوافعه قد تؤدى إما الى أنبل أنواع السلوك أو إلى أحطها ، فهناك نوع من الجريمة يوصف بأنه عاطفى ، وينطوى تحته أنواع من الاعتداءات المحزنة ، كالقتل بسبب الغيرة وأمثالها من الجرائم ، ومن الناحية الأخرى فإن الحب يدفع لأرقى أنواع السلوك ، كالتضحية بالنفس والفروسية والتمسك بالشرف ، وعاطفة الأبوة ، وقد تتطور الغريزة الجنسية بطريقة طبيعية ، أو بطريقة شاذة . وأياً كان هذا التطور حسناً أو سيئاً ،

بأنه يتوقف على التكوين الجسماني والعقلي للشخص ، وعلى الميول الموروثة والتجارب المكتسبة خلال الطفولة المبكرة والشباب ، والسلوك بأنواعه تعبير عن هذا الدافع الطبيعي .

والتعبير على أنواع ، منها ما هو مثالي بحت ، وما هو قائم على التجربة وبعض هذه التعبيرات ناتج عن الغرائز ، وبعضها معـــاوم عند النفسانيين « برغبات الطفولة » وهي مظاهر نشاط العقل الباطن ، أو استمرار للنشاط الطفولة ، أو مرحلة ما قبل الرجولة ، وهي الفترة التي يكون الطفل فيها قاصراً عن فهم النظافة والأناقة وتقديرهما حق قدرهما ، ويكون خاضعاً لبعض دوافع المتعة .

والميل الجنسي يحتل مكانة أكبر مما يظن أغلب الناس ، وتختلف درجته بين الناس من رجل لآخر ، ومن امرأة لأخرى ، ولكي نضع أسساً معقولة للسلوك الجنسي ينبغي أن ندقق النظر في حقيقة الميل الجنسي وتطوره بين الشعوب البدائية ، وندرس خصائصه بين الشعوب التي بلغت مرتبة عالية من الحضارة والتمدين ، ولن نستطيع أن نفهم الحياة حق الفهم إلا إذا علمنا أهمية ومعنى الميل الجنسي وتأثيره في السلوك الشخصي والاجتماعي لكل رجل أو امرأة .

وقديماً استعملت كلمة « الليبيدو » للتعبير عن الرغبة النشيطة أو الرغبة المسيطرة ، ويمكننا أن نسمي الميل الجنسي « باللبيدو الجنسي » .

ولا نقصد بالجنس معناه البسيط ، فالطبيعة تقرر في بساطة أن المخلوقات البشرية تحب وتبحث عن رفيق من الجنس الآخر ثم تستمر في النسل .

وفى المراحل الأولى من تطور الجنس البشرى وجد « الليبيدو » لنفسه تعبيراً كلياً فى النشاط العاطفى « الحب » . ثم تفرع النشاط العاطفى مع تطور الجنس البشرى ، وأصبح الاستمتاع من أهـــدافه بالاضافة الى الهدف الأول ، فبين الشعوب المتحضرة لم تقلل الثقافة من متعة الحب ، بل على العكس من ذلك نجد أنه كلما ارتقت الثقافة ، ورق الاحساس والخيال ، كانت عاطفة الحب معقدة وقوية . ولو استعرضنا تاريخ عاطفة الحب من المجتمع البدائى الى مجتمعنا هـذا لوجدنا خطوات واسعة من التطور العقلى والخلقى والاجتماعى .

والنفس المثقفة تتوق دائماً الى أكثر من المطالب المبتذلة المألوفة ، فالحب أساساً عبارة عن شهية بسيطة ، ولكنه أصبح أخيراً عاطفة روحية إبداعية شعرية تربط الرجل بالمرأة ، والأشخاص المتزنون ذوو الفكرة السليمة عن المسألة الجنسية ، لا يحاولون إنكار أثر الدوافع الجسمانية ، كما أنهم لا يحاولون تفسير عاطفة الحب على الأساس الجسمانى وحـده ، فالعاطفة تناسق بين الروحانيات والجسمانيات ، والذين يهتمون بإحدى الناحيتين أكثر من غيرها يخضعون فى تجاربهم العاطفية لبعض الخيالات الكاذبة التى تضر بهم ، وازدواج الأمرين عنـــد الزواج شعار لا نهائى للحب والحياة لا يفهمه الا الذين يحبون بأرواحهم وأجسادهم معاً .

وتناول الحب من الناحية الجسمانية وحـدها مع إهمال قوانين المجتمع والحدود الخلقية يعتبر تبديداً لقوى الحياة ، وكذلك اتباع الناحية الروحية وإهمال الناحية الجنسية العضوية يكون فى الغالب هروباً من الرغبات الطبيعية المخيفة ، والرأى السديد هو تنسيق الناحيتين بحيث لا تطغى احداهما على

الأخرى ، ويعتبر كل من يؤثر ناحية من الناحيتين مغالياً ، فالأول يتهالك على متعته ، والثانى ينظر اليها كأنه ينظر الى شيطان . وكلا النوعين مضطرب فى تطوره ، ويجب أن نفهم أن كل رغبة غرستها فينا الطبيعة لها هدفها الخاص ، وكل ما يهم الأخلاقيين ، هو السيطرة المضبوطة والاستخدام السليم للغريزة الجنسية وعاطفة الحب .

ويجب أن نفهم دوافعنا الجنسية ، وأن نستجيب لها دون حياء أو خجل . طالما أنها فى حدود الشرائع والقوانين الخلقية ، وأن نتمثل بقول ترتوليان . « يجب أن تؤدى رسالة الطبيعة بقبول حسن » وأن لا نغالط أنفسنا ونفر من مواجهة حقائق الحياة فى صراحة .

الحب والزواج

— ١ —

يحسن بنا قبل أن نتقدم فى البحث أن نلم إلمامة عابرة بطرق التكاثر عند الكائنات الحية عموماً لنتعرف على مراحل التطور الجنسى من الحيوانات الدنيا الى الحيوانات العليا ، ولنبدأ بالحيوانات الأولية بسيطة التركيب فنجد أنها تتكاثر بانقسام الخلية الى قسمين يصبح كل منهما كائنا منفصلا ثم ينقسم بدوره وهكذا ، وهذه الكائنات وحيدة الجنس أى أنه لا فرق بين ذكر وأنثى ، والخلية جرم ميكروسكوبى مكون من مادة حية معروفة بالبروتوبلازم ، والبذرة الجنسية فيها اسمها النواة ، وهى تنحدر خلال أجيال لا عداد لها ، والنواة هذه هى شرارة الحياة فى الحيوانات العليا وفى الإنسان .

والكائن ذو الخلية الواحدة يستطيع أن يتناسل دون الحاجة إلى التزاوج ، أما فى الكائنات عديدة الخلايا فإن بعض الخلايا تقوم بوظيفة معينة ، وبعضها يقوم بأخرى ، فبعضها يقوم بالهضم ، وبعضها مختص بالنسل ، ولو تابعنا مراحل التطور بالتفصيل لوجدنا أن الخلايا أصبحت عجيبة ومعقدة ، فالكائن البشرى ماهو إلا كتلة من الخلايا نبعت من خلية واحدة ، وهذه الخلية هى البيضة .

وفى الحيوانات وحيدة الخلية لا يختلف النتاج عن أبويه ، أما فى الحيوانات العليا ، الأكثر تعقيدا . فهناك اختلاف كبير ، إذ أن كل جزء من أجزاء

الجسم له خلايا خاصة به كالمخ والدم والعظام ، وتعرف هذه بالخلايا البشرية وتقوم كل مجموعة منها بنوع واحد من العمل ، والخلايا المخصصة لتكوين الكائنات البشرية تسمى بالخلايا المنوية .

وكل الحيوانات كالنباتات تماماً تنبع عن الجرثومة أو البذرة ، ففى الحيوانات الثديية ، والحيوانات الفقرية بما فيها الثديات العليا والإنسان ، يحمل كلا الجنسين خلايا الحياة الجديدة ، والإنسان أكثر تقدماً فى هذه الناحية من الكائنات وحيـــدة الجنس ، فالإنسان قبل أن يطعن فى السن تكون لديه القدرة على انتاج ملايين الخلايا المنوية .

— ٢ —

والخلايا التناسلية فى الذكر والأنثى فى الإنسان بالغة الدقة ، ولا يمكن رؤيتها إلا تحت ميكروسكوب ذى عدسات قوية ، وإنه لمن أعاجيب الحياة أن تحتوى هذه الجراثيم الدقيقة على الخصائص العقلية والخلقية والطبيعية للوليد ، فالميول العقلية ، والصفات الخلقية ، ولون الشعر والعينين ، والطول ، والاستعداد للاصابة بمرض معين ، كل هذه الأشياء موجودة فى الخلايا التناسلية للرجل والمرأة .

والخلايا التناسلية للرجل معروفة بالحيوانات المنوية Sperms أما خلية المرأة التناسلية فاسمها البيضة Ovum ، والحيوانات المنوية تسبح فى سائل منوى ، وهذا السائل يختزن فى وعائين يشبهان البيضتين يقيهما غشاء اسمه الصفن وهذان الوعاءان المعروفان بالخصى موجودان فى كل الحيوانات الثديية وموضعهما بجانب عضو الإدخال فى الذكـــر واسمه القضيب ، أما البيضة عند المرأة فينتجها المبيضان ، وقبل الوضع تكون هذه الخلايا

التناسلية جسم «الجنين» أو الوليد الجديد .

وتظل البيضة غير ناضجة أو فى حالة خمول فى أحد المبيضين الأيمن أو الأيسر حتى وقت البلوغ وهو بين الثالثة عشرة والخامسة عشرة عادة ، وفى هذه الآونة تأخذ البيضة الناضجة طريقها من أحد المبيضين بصورة دورية خلال الأنابيب الموصلة الى الرحم أو الى المهبل ، وهذه العملية تحدث عموماً مرة فى كل ثمانية وعشرين يوما ، وتسمى بالعادة الشهرية .

وخلال فترة العادة الشهرية يحدث إفراز من الدم من الرحم ، وهذه حالة مألوفة ولا ينبغى أن تفسر بسوء الصحة ، ولكنها دلالة الاستعداد للحمل والقابلية له ، وقبل الخامسة عشرة ، أو السادسة عشرة تكون الحيوانات المنوية حاملة أو غير موجودة عند الشاب ، فقبل هذه الفترة تكون الخصيتان مرتفعتين عن الصفن ثم تهبطان وتبدآن نشاطهما فى مرحلة البلوغ ويكبر حجمهما .

ولا يعنى التطور السريع والنمو الكبير فى الأعضاء التناسلية أن الشاب أو الفتاة أصبحا صالحين للزواج أو الأبوة ، فان الأعضاء رغم ذلك تكون غير متهيئة للقيام بدورها الطبيعى ، وعلى أى حال فلا بد من حدوث تغيرات كثيرة فى غالب أعضاء الجسم قبل أن يعتبر الشاب أو الفتاة فى تمام التكوين والصلاحية للزواج .

— ٣ —

ويطلق الإصطلاح «علم الأجنة» على العلم الذى يبحث فى تكوين الكائنات الحية قبل الولادة ، وهناك بعض القبائل البدائية التى لا علم لها بكيفية تكوين الكائن البشرى من الخلايا التناسلية للرجل والمرأة ، وهناك أيضا كثير من

المتحضرين ممن يدعون الذكاء والثقافة ، ومع ذلك لا تزيد معلوماتهم في هذا الصدد عن معلومات البدائيين وهذا بعض شذوذ المجتمع المثقف .

وهذا الجهل بأسرار التناسل يعتبر إلى حد ما نتيجة للخوف القديم المتأصل من المسائل الجنسية ، الذى انحدر من الشعوب البدائية إلى المجتمع المتحضر ولازم فى أذهان الناس الشعور بحقارة الحب الجنسى والخجل منه وهو يرجع أيضاً إلى البلادة الثقافية وتجنب البحث والتفكير ، وإلى بطء تقدم علم التشريح خلال عصور الخرافة والجمود .

ولا شك أن دراسة التشريح التناسلى تعتبر جزءاً ضرورياً من ثقافة الشباب من كلا الجنسين ، وعلى الشبان والشابات ممن يريدون الزواج أن يلموا بعملية تكوين الجنين ، وقوانين الصحة الزوجية ، وحفظ القوى التناسلية ، وتأثير الوراثة ، والعناية بالأطفال ، ويمكن تجنب كثير من الأمراض والمتاعب إذا تخلصنا من الجهل بالشئون الجنسية .

والحيوان المنوى للرجل وبيضة المرأة يتحدان خلال عملية الاتصال الجنسى ، وتسمى بعملية الإخصاب ، والحيوان المنوى النشيط مزود برأس مدببة وذيل طويل لتسهيل حركته ، ويتلمس الحيوان المنوى البيضة الناضجة فى الرحم بالمريزة ثم يخترقها ، وعندئذ تصبح البيضة مخصبة ، وهذه العملية هى بداية تكوين الجنين « وتبعاً لقانون إلهى » كما يقول الشاعر « شلى » يتحد العنصران وتبدأ عملية النسل الأبدية .

وعند ما تكون البيضة خاملة أو غير متهيئة للإخصاب ، فإن عملية الاتصال الجنسى لا يترتب عليها تكون الجنين ، وقبل الزواج تسقط البيضة

بعد إفراز دم العادة مباشرة ولكنها تهلك عادة ، أما بعد عملية الإخصاب فتتصل البيضة المخصبة بجدار الرحم وتبدأ فى اتخاذ شكل الكائن البشرى المنتظر ، ويظل الجنين يتغذى من دم الأم تسعة أشهر ، ويحتوى دم الأم فى العادة على مواد لا توجد فى دم الرجل ، ومن هـــذه المواد تتكون أنسجة الجنين .

وفى المرحلة الأولى من نمو الجنين فى الرحم تتحول الخلايا إلى جسم مستدير نوعاً يشبه ثمرة التوت ، وفى داخل ذلك الجسم يتكون غشاء حوصلى ويتخذ شكل رأس وشكل ذنب ، ويتكون بالتدريج «الحبل السرى» الذى يتغذى الجنين عن طريقه ، وبعد أن يستقر الجنين فى الرحم ينمو حتى يملأ فراغه فى الشهر الثالث ، ثم يتحور شكل الجنين إلى أن يأخذ الشكل المألوف ، فيقوم جزء من الخلايا بتكوين الجلد والشعر والأعصاب والأمعاء الغلاظ ، وجزء آخر يكون العظام والأسنان ، والعضلات والأعضاء التناسلية ، والدم والمواد الدهنية ، ويقوم جزء ثالث بتكوين خلايا الكبد والرئتين وهكذا ...

ويتكون القلب فى المرحلة الأولى من تكون الجنين ويتسرب إليه الغذاء خلال المشيمة أو « الخلاص » الذى ينزل من الأم بعد ولادة الطفل وفى نهاية الشهر الرابع يتم تكوين الأعضاء التناسلية للجنين ، وفى الشهر السادس يظهر الشعر على فروة الرأس ، وفى نهاية الشهر التاسع يكون الطفل متهيئاً للخروج إلى هذه الدنيا .

— ٤ —

يتوقف بقاء الجنس البشرى ودوامه على الحب والزواج ؛ ولقد حزمت

الطبيعة العجيبة أمرها على أن ينجذب أبناؤها إلى بعضهم البعض ، فالرجل ينجذب إلى المرأة والمرأة إلى الرجل لضمان استمرار الحياة ونسل أجيال جديدة ، ولذلك كان « الحب » أمرا طبيعياً وحادثاً مألوفاً فى حياتنا اليومية حتى أننا ننسى كل ما ينطوى تحته من أهداف الطبيعة ، وتأثيره الضخم على الفرد والجماعة والأمة والجنس البشرى بأجمعه ، فما هو الحب ؟

الحب أصلا من الناحية الطبيعية يوصف بأنه حالة توتر فى العقل والجهاز العصبى وأعضاء التناسل ، وهذا التوتر يتلمس لنفسه مسكنا ، وتدفع الغريزة إلى الزواج أو الاتحاد بشخص من الجنس الآخر ، وربما كان هذا تفسيراً جافاً يسوقه إلينا علم الأحياء لهذه العاطفة العجيبة ، ولكنه رغم ذلك تفسير صادق مجرد ، فبين الحيوانات العليا وذوات الأربع والطيور نلاحظ أن هناك فترة دورية تنشط فيها الرغبة الجنسية ، وتختلف الفواصل بين فترات النشاط الجنسى باختلاف الحيوان ، فالأرنب والفأر دائماً فى حالة « تهيج جنسى » بينما نجد أن الفيل لا يصل إلى هذه الحالة إلا كل عامين

والحب غريزى بحت حتى بين أكثر الحيوانات ذكاء ، وليس فيه خيال أو تفكير ، « فالجوع » أو الرغبة القوية فى الغذاء تدفع الحيوان لالتماس غذائه ، والتوتر الجنسى الدورى يدفع الجنس نحو الجنس الآخر ، ويؤدى إلى الزواج فالتناسل .

ويزداد الميل الجنسى والرغبة فى الحب بين الشعوب البدائية خلال الربيع والخريف ، أما بين الشعوب المتحضرة ، فإن الحب أشد تأصلا وعمقاً وهذه هى المتعة العميقة والإحساس الجارف « بالعاطفة الرقيقة » التى تميز الإنسان أصلا عن الحيوان

والرغبة فى الحب التى تبديها الشعوب المتحضرة يمكن تتبعها على أساس أن هناك دورة عقلية وجسمانية شهرية عند المرأة ، وأن هناك فى الغالب نشاطاً عاطفياً مستمراً عند الرجل ، والحقيقة الثابتة هى أن المرأة تكون أكثر قابلية للحمل مرة فى كل ثمانية وعشرين يوماً فى الأحوال العادية ، وأن هذه الحالة تكون مصحوبة بعلامات تتفاوت قلة وكثرة تدل على القابلية للاتحاد والاتصال الجنسى ، وهذه العلامات قد تكون لا واعية بالكلية ، بالنسبة للفتاة ، وقد لا تخول بذهنها أية فكرة عن الحب .

هناك إذن دورة شهرية منتظمة عندما تصل المرأة إلى قمة تكوينها وقدرتها على أن تكون أما ، أى عندما تتهيأ طبيعياً للقيام بوظيفة الزوجة ومن الطبيعى أن تكون فترة القابلية للحمل هى الفترة التى تتيقظ فيها العاطفة مصحوبة بالرغبة الغريزية فى الاتصال الجنسى ، وقد لا تصل هذه العاطفة إلى درجة الوعى أو الظهور قبل الزواج .

وهناك أمر أكثر أهمية وهو أن الرجال تمر بهم دورات نشاط جنسى ، وبمعنى أوسع نجد الرجال خلال سنهم المبكرة خاضعين دائماً لنداء الحب والمؤثرات الجنسية ، وفى المجتمعات المتحضرة نجد عند كلا الجنسين بواعث كثيرة للزواج منفصلة تماماً عن المشاعر التلقائية ، والواقع أنه من الصعب أن نحدد البواعث التى تثير أفكار الحب بين الرجال والنساء فى أيامنا هذه ، وقد توفرت البواعث المغرية فى ظل المجتمع الحديث ، والواقع أنه كلما كان التخيل عميقاً ، وكان الذوق فنياً ، وكان الشخص محباً

للجمال يقدر النواحي العاطفية في الحياة ، كان أكثر قابلية لأن يحب .

وإن أعنف أنواع الصراع العاطفي عند الشاب أو الفتاة في ظل المجتمع الحديث لا يمكن التفكير فيه إلا مرتبطاً مع تكييف السلوك الشخصي على أساس جنسي راق ، وعلى أساس كبت الغرائز البدائية العميقة .

— ٥ —

لقد رأينا للحب أساساً طبيعياً مرتبطاً بالجهاز التناسلي والغريزة الجنسية ، ومن الواجب أن نناقش الآن هذه العاطفة من الناحية النفسية .

إن تطور العقل البشري قد عقد وقوى التأثير النفسي للدافع الجنسي وأضاف العطف والإيثار والرقة إلى العاطفة التي تربط الرجل بالمرأة ، فقد تفرع عن الحب الجنسي وهو الأصل : حب العائلة ، وحب الأولاد ، وبعض الانفعالات الإنسانية الراقية . فالحب الحقيقي باعث روحي . والمحب المخلص يتمنى لو يهب السعادة لحبيبه ، ويتجنب كل المثيرات التي تعرض ارتباطهما للزوال . والحب الحقيقي يؤدي إلى خير المحبين ، فهو قوة منشطة متجددة في حياة الرجل والمرأة على السواء ، وفي استطاعة الحب الوثيق السعيد أن يغير نظرة الشخص للحياة تغييراً شاملا ، وأن يوحي بأرقى أنواع السلوك ، ويبعث أطهر الفضائل في المرأة والرجل كليهما . والحب أطاهر العف أمر تحبذه الأديان كلها وتدعو إليه ، فقد كان ينظر إليه منذ قديم العصور على أنه نفحة من الحب الإلهي .

والرهبانية والعزوبة الدائمة واعتبارهما فضيلة عليا نشأ عن فهم خاطىء لقوانين الطبيعة ، وتصور المسألة الجنسية على أنها مصدر أذى وإضرار بالنفس ؛ ولقد مرَّ على الرجال والنساء زمان كانوا فيه ضحية انقياد خاطىء لبعض رجال الدين ، فعاشوا منعزلين كل جنس يحيا بعيداً عن الآخر ، يقضون حيواتهم فريسة للكبت الجنسى ، وسنرى فيما يلى أن ذلك الكبت تصحبه متاعب جمة بدنياً ونفسياً . والمشاهد أن من يتمسك من الرهبان بأصول الرهبانية يعانى الكثير من المتاعب ، بخلاف الشخص العادى الذى يخالط الناس ويعيش فى غمار المجتمع .

وحب الفنون والجمال له أيضاً أسس فى الدافع الجنسى ، فالفن صورة من كثير من الصور التى يتحور إليها هذا النشاط الأولى .

ومن المعروف جيداً أن الحب حينما يتيقظ فى قلب شاب أو فتاة يصحبه إحساس فنى شعرى ، يؤدى فى الغالب إلى إبداع نوع من الجمال ، وفى هذه الفترة تكون المتعة المحببة فى نقد لوحة فنية ، أو صورة جميلة أو تذوق قطعة موسيقية ، والفن كالحب ينبع من الأحاسيس والنفس ، ومعظم كبار الرسامين والموسيقيين والشعراء لهم قصص حب خالدة ، ومردّ هذا الحب إلى الدافع الجنسى فما الطبيعة كلها بالنسبة إلى البشر إلا موضوع جنسى ، وهذا الأساس هو الذى يمكن أن يشرح عليه جمال الطبيعة ، وعن طريق الفن ترقى الأحاسيس وتسمو وتتحرر من قيود المادة إلى حد ما .

والنشاط الجنسى والعاطفى لازم للعمل والصناعة ، فإن جزءاً من ذلك

النشاط يتحول عن موضعه الإيجابي ، ويتحول إلى نشاط عمل . فالحب يدفع الشاب إلى العمل بهمة ونشاط حتى يكسب مالا كافياً ، يؤسس به بيتاً ويعده لعروسه وأسرته المقبلة . والدافع إلى معظم نشاط الرجال هو الرغبة في توفير الراحة والمسرة لزوجاتهم ، وليحصلوا على الراحة والترف في بيوتهم وليؤمنوا مستقبل أطفالهم .

— ٦ —

وحينما تنبعث أفكار الحب في عقل شاب أو فتاة فإن هذا أمر طبيعي مألوف جداً ، وذلك التيقظ الغريزي دليل حسن الصحة بدنياً وعقلياً ، والأفراد الذين يبقون بمعزل عن الحب من كلا الجنسين ، خلال فترة الشباب أو الرجولة والأنوثة إما أن يكونوا ناقصي النمو أو ذوي طبيعة باردة .

والشخص الذي يجد متعته الكبرى في الحب غالباً ما يكون قوياً من الناحية الجنسية ، وقد لا يكون كذلك ، والواقع أننا نعتبر إلى حد كبير من ضحايا الوراثة في التكوين ، ولكننا نستطيع أن نحس تلك الميول الموروثة وإن لم نستطع تغييرها كلياً .

والشخص القوي من الناحية الجنسة ليس من شواذ الطبيعة ، فهو لا يزيد من هذه الناحية عن الشخص ذي الشهية القوية للغذاء ، أو الشخص المفرط في الطول أو الفتاة ذات الشعر الغزير ، وكلمة « طبيعي » لا تزال كلمة مطاطة الاستعمال ، فلم يقرر أحد حتى الآن هل تنطوي تحتها الناحيتان البدنية والعقلية أم لا ؟ وكل شخص لا بد أن يكون لديه نقص أو زيادة

فى إحدى الناحيتين ، ولذلك يحسن أن نطلق على الشخص الطويل أنه « فوق العادى » وعلى الضعيف جنسياً أنه « دون العادى » .

ولا تعتبر حالة النشاط الجنسى الشديد عند الشاب شذوذاً ، وكذلك الفتاة التى تنجذب إلى الشبان وتعبد الحب ليست هى الأخرى شاذة على الإطلاق ، فالمسألة لا تعدو أن الفتاة القابلة للقيام بوظيفة الأم ، والشاب المتهىء للزواج ينجذبان إلى بعضهما ، ولا غرابة فى ذلك ، فهذه سنة الطبيعة ولا اعتراض لأبنائها عليها ، وقد يكون الإفراط فى الاتصال الجنسى دليلا على الضعف العقلى عند بعض الأشخاص ، ولكن الكثيرين من الأقوياء جنسياً أقوياء أيضاً من الناحية العقلية ، والقوة البدنية لا تستلزم القوة الجنسية ، فكثير من الرياضيين ضعاف من الناحية الجنسية ، بينما نجد كثيراً من المصابين بفقر الدم فوق المتوسط من هذه الناحية . ولا عار هناك فى الضعف الجنسى أو القوة الجنسية الموروثة ، فلا الرجل ولا المرأة يستطيعان التحكم فى وراثتهما ، ولكن كل إنسان يستطيع أن يحسن استعمال ماوهبته الطبيعة ، وألا يسىء استعمال جهازه التناسلى بأى شكل من الأشكال .

والصراع الجنسى قائم بين الإنسان ونفسه منذ فجر التاريخ ، وقد وجد كل شخص لنفسه مخرجاً من هذا الصراع خاصاً به ، فهناك من أصابته الهستيريا أو النيروستانيا أو الخوف الشديد نتيجة لذلك الصراع العقلى المستمر ، وهناك من فر بنفسه إلى الأديرة ، وهناك من استطاع التغلب على دوافعه الجنسية بالانغماس فى أعمال البر والخدمة الاجتماعية ، أو الإنتاج الفنى

والدراسات العلمية ، أو بممارسة الرياضة . وهناك من فسدت أخلاقه وانحدر ففسدت عليه حياته .

وقد يكون من الخسير للإنسان أن يقنع نفسه بأنه لا يمكن إشباع كل رغبة ، أو ميل جنسى تمام الإشباع ، وهل تتحقق جميع أحلامنا وآمالنا فى النجاح والسعادة ؟

وأنا لا أرغب فى تثبيط الهمم ، ولكننى أريد التقوية ، فهناك نجاح وسعادة حقاً ، ولكنهما بنسب تتفاوت بين الأبناء جميعا ، ولكن هناك أيضاً عوامل سوء الحظ . والحياة ليست مجرد أحلام وأمان ، ولكنها خطة منسقة تجمع بين النور والظلمة ، والحب والكراهية ، هى خليط من القسوة والشفقة ، ومن الخشونة والرقة ، هى مزيج من الإخلاص والخيانة ، بل هى مجموعة من المتناقضات .

إن الطريق الذى نسلكه فى حياتنا يرسمه الكبت الناشىء عن مطالبنا الغريزية منذ أن نولد إلى أن نموت ، وبدون هذا الكبت قد تصبح الحياة المتحضرة ضرباً من المستحيل ، والطفل يبدأ فى تلقى دروس الكبت وهو فى المهد فهو يرى شيئاً جذاباً ، فيحاول الوصول إليه والحصول عليه ، ولكن محاولته الأولى للسيطرة تجد مقاومة شديدة من الوالدين الذين يمنعانه بالإشارة أو بالتعنيف ، وهو من ناحيته يريد تحقيق رغبته فى إتيانها ، ورغبات الطفولة البدائية الموجودة عندنا جميعاً تمنع فى الحال خلال الطفولة أو الصبا وعند ما ندرج نحو الشباب تتجمع تلك الرغبات ثم تتمشى مع حاجاتنا

المكتشفة حديثاً ، وسأختتم هذا الفصل ببعض الملاحظات عن الغريزة الجنسية والعقل . وقد رأينا أن الغريزة الجنسية ليست شيئاً منفصلا — كما كنا نفهم — عن الجسم البشرى ، ولكنها مرتبطة تمام الإرتباط بالمخ والجهاز العصبي والغدد وتكوين الأعضاء الأخرى ، بالإضافة إلى الأعضاء التناسلية .

وعاطفة الحب لها تأثير أساسى على التفكير والسلوك والخلق ، واشتياقنا للجنس الآخر يؤثر بقوة فى أفكارنا عن الحياة والمسائل المعنوية والاجتماعية وسلوك المحب إنمـــا ينشأ عن استجابته التامة ، أو حاجته إلى الاستجابة لحقائق الوجود ، وعند ما يكون هناك رد فعل مضاد للغريزة الجنسية ، يظهر فى التمسك بالفضائل ، وإذا لم يفكر الرجال والنساء فى المسألة الجنسية بتعقل واتزان فإنهم سيحيدون عن الصواب فى تقـــديرهم للقيم الأخلاقية وأساليب السلوك والنظرة العامة للحياة ، ولن نستطيع أن نوسع من نظرتنا للحياة ، وأن نجعلها شاملة ونصفها بالعطف والرقة ، ولن نستطيع تأمل مظاهر الطبيعة البشرية إذا كنا نعيش بعقول مقيدة وتفكير تعوقه قوى مجنونة .

والشخص الذى يرفض مناقشة المسألة الجنسية يتهرب من مواجهة حقائق الحياة ، ومثل هذا التهرب يدل على « تعقد » مستقر فى اللاوعى يحدث رد فعل فى العقل الواعى . والخوف يعتبر الطرف السالب للرغبة .

والواقع أن السيدات الفاضلات المتمسكات بقواعد الأخلاق

كثيرهن ملتهبات العاطفة ، ولكنهن يحاولن كبت شعورهن الحقيقي بادعاء عدم الاهتمام بالحب ، والإحساس بأنه شيء لا يليق بهن ولا يناسبهن ، والفرار من مواجهة مسائل الحياة الحيوية يضعف العقل ، ويقضي على العاطفة ، وقد يؤدي إلى اضطراب عقلي وعصبي ، والجهل بهذه المسائل يكون مصدراً للتعاسة وسوء التصرف ، ولكثير من الأمراض البدنية في كثير من الأحيان .

هناك إذن ارتباط لا ينفصم بين المخ والجهاز التناسلي ، وهذه الصلة أكثر وضوحاً في النساء ، منها في الرجال لأن النساء من الناحية التشريحية ثم العقلية تسيطر عليهن الغريزة الجنسية أكثر من الرجال ، والمرأة هي العامل الرئيسي في استمرار الحياة البشرية ، وخلاياها التناسلية أكثر تعقيداً من الرجل ، فهي التي تضع الطفل وترضعه بعد ولادته بعد أن تكون غذته من جسدها جنيناً . أما وظيفة الرجل في النسل فهي الإخصاب أي تلقيح البيضة بالحيوان المنوي ، وهذا هو الدور الوحيد الذي يلعبه الرجل في عملية النسل .

وينبغي أن لا نفصل في التفكير بين الصحة العقلية ، والصحة البدنية ، يجب أن يفهم تكوين الجسم ، وأن يستخدم استخداماً صحيحاً ، إذا كنا نرغب في الوصول إلى المستويات المعنوية المطلوبة ، وأن نصل إلى الصحة العقلية الكاملة والكفاية الجنسية ، ويجب أن يتغذى العقل ويعتنى به بنفس الطريقة لضمان صحة البدن .

وسوء توجيه الطاقة الجنسية بالكبت الشديد ، أو الإفراط ، أو الانحلال الخلقي ، أو ممارسة العادة السرية . كل ذلك يؤثر في العقل تأثيراً سيئاً للغاية . وينبغي أن تبدأ العناية بالصحة الجنسية من المهد عند الأطفال , وفي مطلع الشباب يجب أن تثبت هذه الاستجابة السليمة لتلك الغريزة الهامة ، فتقدم للشباب من كلا الجنسين المعلومات الصحية البسيطة وينبغي أن يكون لدى الأبوين قدر كاف من الثقافة الجنسية ليكونا من الكفاءة ، بحيث يستطيعان إرشاد أطفالهما إلى حل مسائلهم الشخصية المتعلقة بأمورهم العاطفية .

ذكور وأناث

— ١ —

تنقسم الإختلافات الجسمانية فى الجنسين إلى ميزات أساسية وأخرى ثانوية ، فميزات الرجل الجنسية الأساسية هى أعضاء التناسل التى صممت لتكوين الحيوانات المنوية المخصبة ، وحملها إلى البيضة الناضجة أو الجرثومة الحية فى رحم الأنثى ، وميزات الأنثى الأساسية هى الرحم والمبايض والأعضاء الخارجية الحساسة ، أما الثديان اللذان يمدان الطفل باللبن فيعتبران من المميزات الثانوية ، والمميزات الجنسية الثانوية تظهر فى ذكور الحيوانات أكثر منها فى الرجال ، فالأسد تميزه لبدة كثيفة وللديك عرف يميزه عن الدجاجة ولذكر الغزال قرنان طويلان ، وذكور الطيور عموماً تتميز بالألوان الزاهية ، ومع ذلك فالفروق الثانوية بين الرجل والمرأة واضحة فشعر المرأة طويل غزير ، والرجل يكسو الشعر مناطق كبيرة من جسمه بعكس المرأة ويظن أن هذا راجع إلى أن المرأة كانت تنتخب من الرجال أغزرهم شعراً .

والرجل أعمق صوتاً من المرأة وبشرته خشنة نوعاً بينما تتميز المرأة بنعومة البشرة ، وأعضاء المرأة تميل إلى الإستدارة وتختزن فى جسدها كثيراً من المواد الدهنية والمواد الأخرى اللازمة لتكوين الجنين ، وقد أوجدت الطبيعة هذه الإختلافات لينجذب كل من الجنسين إلى الآخر ، فالرجل

يغرم بالمرأة الناضجة الأنوثة ، والمرأة تحب الرجل لميزات الرجولة الطبيعية فيه .

والرجال فى العادة أضخم وأكثر عضلا وأكبر عظاماً من النساء والذكور من الأطفال يكون وزنهم عند الولادة أكبر من الأناث ، وبطن الأنثى تكون أكبر من بطن الرجل وجذعها أطول وأطرافها أقصر ، ومن المميزات الظاهرة فى النساء سعة الحوض وهو نطاق العظام الموجود أسفل الجسم ويحيط بأعضاء التناسل ، وقد ازداد اتساع الحوض عند المرأة على مر الزمن ، وهو لا يزال فى طريق الإتساع ، وكل إنسان خرج إلى الحياة من خلال تلك الحلقة من العظام ، ولقد دلت التجارب والدراسات على أن الرأس البشرية يكبر حجمها مع الزمن فلو أن الحوض لم يتسع لما تمكن كثير من الأطفال من الخروج إلى الوجود ولقتلوا أثناء الولادة لعدم القدرة على الخروج من أجساد أمهاتهم ، والحوض يمنح المرأة ردفها الرشيق ، ويزيد من سحر أنوثتها وخصوصاً عند حنية العمود الفقرى (الخصر) .

وحجمة المرأة أصغر من حجمة الرجل ولكن هذا لا يعنى أبداً أن المخ الموجود بداخلها أضعف من مخ الرجل ، وهناك خطأ شائع وهو أن المخ الصغير يكون بالضرورة أضعف من الكبير ولم يثبت أن الرجال متفوقون من ناحية المخ على النساء ، فالذكاء يتوقف على مقدار الثنيات والإنحناءات فى سطح المخ .

وهناك اختلاف فى درجة الحس بين الرجل والمرأة فقد ثبت بالتجربة أن الرجال أكثر إحساساً بالألم من النساء ، وتأثر الرجال بالآلام الجسمية

أكثر من النساء وليس ذلك عن قوة أو بطولة فى المرأة ولكنه راجع إلى تكوين الجهاز العصبى عندها ومن الثابت أن النساء تندمل جروحهن سريعاً ويغلب عدم إصابتهن بأمراض معينة وأن لديهن القدرة على استرداد صحتهن سريعاً بعد المرض .

وفيما يختص بحاسة السمع قد ثبت أن من يصابون بالصمم من الرجال أكثر من النساء ، وكذلك العمى ، وعمى الألوان نادر بين النساء .

— ٢ —

والفوارق الثقافية والعاطفية يمكن تمييزها بسهولة بين الرجال والنساء وإن كان الميل العام فى الشعوب المتحضرة إلى إزالة هذه الفوارق بإعطاء الفرصة لكل من الجنسين .

والأولاد والبنات يكونون متشابهين إلى حد كبير فى سنهم المبكرة : فهم متشابهون فى التفكير والميول ونوع اللعب والمنظر العام ، وملابس المرأة تلعب دوراً هاماً ولكنه غير ظاهر فى مبالغة الأنثى فى تقدير الأمور فالملابس تظهر أنوثتها وتؤثر فى سلوكها وحياتها العاطفية .

وحب الظهور والتزين أقوى بالطبيعة فى المرأة منه فى الرجل ، وكل امرأة مغرمة إلى حد ما بعرض مفاتنها للجنس الآخر ، وقد تصبح هذه الغريزة ذات متعة كبيرة بل تصبح إحدى متع الحياة الرئيسية .

واختلاف النظرة الجنسية بين الرجل والمرأة أمر يرجع إلى التجارب

المبكرة لكلا الجنسين ، والحياء الطبيعي أمر واضح فى المرأة ولكن هذا لا يبرر الجهل الفاضح الذى يظهره كثير من السيدات المثقفات فيما يتعلق بالصلات الجنسية ، وكبت الفكر الموجود عند المرأة بأنواعه المختلفة إنما ينحدر إليها من تأثير أبويها والقائمين على أمرها أثناء الطفولة ويترتب على هذا الكبت إحساس المرأه بأنها مخطئة مذنبة ويظل هذا الإحساس ملازماً لها فى حياتها المقبلة ، وقد يؤدى إلى شقائها فى حياتها الزوجية ، ويعرضها لتأثيرات عصبية وعقلية ضارة .

والاعتقاد السائد أن النساء أكثر عاطفة من الرجال ، والنساء يعتمدن على الغريزة والواقع أكثر من اعتمادهن على المنطق والتصور ، وهن لا يجدن متعة فى الدراسة العلمية فى غالب الأحوال ولكنهن حين يجدن المتعة فانهن يفقن الرجال فى دراسة الرياضيات وإن كن لا ينقصن عنهم شيئا فى بقية الدراسات والعبقريات من النساء نادرات ولكن منهن الكثير من الموسيقيات والفنانات ، والرجل بحكم الوراثة الطبيعية كادح مخاطر ، عنيف فى عمله نشيط ، أما النسوة فأقل نشاطاً من الرجال من الناحية البدنية ، فانهن يتعبن بسرعة ويملن للعمل المتقطع لا المستمر ولكن ذلك لا يعنى أن يمنعن من العمل لأن فى ذلك خسارة كبيرة على المجتمع إذ تضيع عليه هذه القوى العاملة سدى .

— ٣ —

والرجل بصفة عامة كذكور الحيوانات المختلفة هو الذى يطلب الزواج

ويتقدم للأنثى ، وهو يعتمد فى بحثه عن رفيقة حياته على الغريزة ، وقد يجد بعض الرجال أنفسهم واقعين فجأة تحت سيطرة عاطفة قوية لأن عاطفة الحب أثناء الشباب تكون جارفة قوية ، وقد تتأثر المشاعر تأثراً قوياً بأول نظرة إلى فتاة معينة ، وعندئذ تنشط فى النفس رغبة قوية فى امتلاك هذه الفتاة ، وذلك الإحساس الذى ينشط فى الشباب الأصحاء قبل أن يدركوا الرجولة بسنوات قليلات ، ينقسم فى الواقع إلى شطرين : حسى وروحى ، فإذا كان الانفعال صادراً عن عاطفة حقيقية فإن العنصر الجسمانى يكون فرعياً ، ولا حاجة بنا لأن نكرر أن المزايا الجسدية للفتاة المحبوبة ، هى الدافع القوى للحب .

والحب عند الرجل يبدأ لمجرد تفاهم حسى ، والفتاة المحبوبة مرغوب فيها ، والشباب كثيراً ما يستجيب لسحر الجسد ، والعاطفة تظهر قوية فى الرجال أكثر منها فى النساء .

والدليل على ذلك شعر الغزل ، فهو أكثر عند الشعراء الرجال منه عند الشاعرات . ومن الطبيعى أن يبالغ الجنس المغازل فى التودد ، ولكن الأغلب لن الرجال أكثر مثالية من النساء عند ما يستجيبون لهذه التأثيرات فالرجال كثيراً ما يعمون عن رؤية الخصائص الحقيقية للنسوة المحبوبات ، وغالباً ما يكون الإنجذاب الجنسى البسيط الذى يحرك الرجل بداية لاتصال جسدى عميق بالمرأة المحبوبة ، وربما كانت اللذة الجسدية هى الشعور الوحيد الذى يبقى للرجل ، وهذا الضرب من الحب ، لا يسمو عن الأغراض الجنسية ، وفى هذه الحالة لا يلقى الرجل بالا إلى فضائل المرأة

ومحاسنها ، وكثيراً ما يتلاشى هذا الانجذاب بعد الزواج ، ويصبح الرجل كأنه غير متزوج فعلا ، فالزواج دون اتحاد الأرواح وامتزاج العواطف والأذواق والمتعة ، لا شك أنه يفقد أكثر من نصف السعادة المفترضة فيه .

ولا شك أنك ستلقى كثيراً من الرجال يؤكدون لك أن القادرين على معاودة الاتصال بامرأة واحدة قليلون ، ورغم ذلك فإن معظم الأزواج مخلصون لزوجاتهم ، وهذا لا ينفى ميل الرجال بصفة عامة إلى تعدد الزوجات ، وقد ثبت أن بعض الحيوانات يشابه الإنسان فى هذه الناحية .

والزواج من امرأة واحدة هو أساس الاتصال والتعاطف فى معظم بلاد العالم المتحضرة ، وهذا بلاشك إجحاف بحقوق بعض الرجال ، ولكن النظام الاجتماعى هو هذا الإجحاف المنظم . وينبغى ألا ننسى أن الكبت المترتب على هذا الإجحاف ضرورى للاستقرار الاجتماعى والتقدم .

والحب أمر يتعلق بالمحبين وحدهما ، ولكنهما حينما يتزوجان وينجبان أطفالا فإنهما يتحملان مسئولية اجتماعية مؤكدة ويصبح سلوكهما بعد ذلك مرتبطاً بالمجتمع ، ولا يستطيعان أن يلقيا عبء إعاشة العائلة على غيرهما ، ومن واجبهما تعليم أطفالهما حتى يشبوا مواطنين صالحين ، ولذلك كان تعاون الأبوين فى الحياة الزوجية والعائلية أمراً ضرورياً .

وطبيعة الحب عند المرأة معقدة نوعاً عنها فى الرجل ، فالنشاط الجنسى (الشبق) ليس من السهل إثارته عند المرأة . فالمثل الأعلى للمرأة أن يتلمسها الرجال ليحبها واحد منهم ، مثلها الأعلى هو أن تكون معشوقة لا عاشقة ،

والمرأة تنجذب إلى الرجال الأقوياء ذوي العافية ، وهذا عمل الغريزة ، لا عمل الوعي ، فالمرأة تختار الرجل الذي يستطيع أن يكفل حياة العائلة ، وأن يشبع رغبات زوجته في الوقت ذاته ، والشبان أكثر هضما لحقيقة الاتصال الجنسي من الشابات .

وينبغي لنا أولا أن نحسب حساب التطور الطبيعي وطبيعة الصفات الأنثوية في المرأة ، حتى يمكن الوصول إلى إثارة عواطفها ، والشائع بين النسوة ، خوف طبيعي من الرجال ، فهن يخشينهم ، ويحترمن رأيهم ، وهذا راجع إلى غريزة الأمومة ، وهو من رسم الطبيعة بلا جدال ، فهي تثير النشاط الغزلي والشهية في الرجل من ناحية ، ومن ناحيـــة أخرى تثيرها بتأخير استجابة المرأة عاطفياً ، والمعنى الحيوي للمغازلة واضح تماما ، فهي مقدمة ضرورية للإعداد للاتصال الجنسي .

وبعث عاطفة الحب في قلب الفتاة ، هو في الغالب الواجب الصعب ، والحساس الذي يقوم به الشاب . وفي بعض الأحيان يفشل الزوج والحبيب كلاهما في بعث شعور حقيقي بعاطفة الحب الجارفة .

وأهم العوامل التي تساهم في هذا الفشل هو ترسب الفكرة القديمة ـــ التي تعد الحب عاراً ـــ في عقول الفتيات ، وقد انحدرت إليهن هذه الفكرة من الأجيال الغابرة ، وكذلك شيوع الخرافات والأكاذيب والأوهام التي تشوه تفكير الفتيات وتقودهن إلى فهم العملية الجنسية والسلوك الجنسي فهماً خاطئا .

وكما أن كثيراً من الرجال يفزعون من تذكر العملية الجنسية فكذلك

كثير من النساء عندهن نفس الفكرة عن التعبير العضوى لعاطفة الحب ، وقد لقنوا جميعاً فى طفولتهم وصباهم وخلال فترة المراهقة أن بعض الأعمال الطبيعية المعينة بهيمية ورديئة وقذرة ، وأنها جميعاً شرور لا بد منها ، فهل يعقل بعد ذلك أن الرجال أو النساء الذين يرزحون تحت ذلك العبء من الأوهام الضارة بالصحة ، يتخلصون فجأة من هذا العبء خلال تجارب الزوجية المبكرة ؟

وواجب الزوج أن يقضى على المقاومة الناشئة عن مثل هذه الأفكار العتيقة ، وأن يفهم الزوجة الغرض النقى الجميل من هذا الاتصال ، وينبغى أن يضع لنفسه خطة محكمة بهذا الصدد . ولا شك أن رسوخ تلك الأفكار العتيقة فى العقول ، سبب من أشد الأسباب دعاء للنشاز والفساد فى العلاقات الزوجية ، وهو سبب مألوف من أسباب الطلاق والفرقة ، وهو يرجع إلى حد كبير ، إلى خوف الآباء من الأطفال حين يسألونهم أن يفسروا لهم الأمور الغامضة التى تتعلق بمولدهم ، وإلى إحساس الآباء بالخطيئة وروعة المفاجأة حين يسألهم أطفالهم هذه الأسئلة .

ولو كان لدى المرأة قوة العقل الكافية لتكوين فكرتها الخاصة عن الحب ، فإن « المقاومة » التى ستبديها للمسائل الجنسية ستكون هى المقاومة الطبيعية الفطرية ، أو هى التمنع النسوى المألوف .

فإذا فهمت حقيقة الحب الزوجى ، فإنها ستتسع أفقاً ، وسيصبح قلبها جذلان ، وستتجه رغبتها ناحية زوجها ، وستقدر تمام التقدير علاقتهما المتبادلة واتصالهما الجنسى ، وستعلم عند ذلك أن العلاقة الروحية تصبح

مؤكدة إذا اقترنت بالقبول الصريح لقوانين الطبيعة وإظهار المتعة بها .

وقد يظل انفعال الحب خامداً ، أو في حالة نوم عميق في الرجل والمرأة على السواء ، فبين متوسطي الرجال يكون الانفعال واعياً ، أي صادراً عن الوعي ، وخصوصاً عقب البلوغ . أما بين النساء فإن الانفعال — ولو أنه موجود — إلا أنه قد لا يبلغ نهاية الوعي ، حتى أثناء فترة المغازلة .

ونستطيع أن نقول إن الحب ، ونشوء عاطفة خيالية جارفة ، أبطأ في المرأة منه في الرجل ، ولكن إذا قامت العاطفة فإن المرأة لا تقل قدرة على الحب عن حبيبها الرجل . ويحتمل أن تكون النسوة في مجموعهن أكثر ثباتاً للتأثير من الرجال في مجموعهم .

— ٤ —

وعاطفة الأبوة غريزة قوية ، وتأكيد للحب الصادق بين الجنسين ، وينظر عادة إلى حب الأم على أنه أعمق من حب الأب . والسبب الأساسي يرجع إلى أن الأم هي التي تكون جسم الجنين داخل جسمها ، وترضعه لبنها بعد ولادته ، وهذه العلاقة الطبيعية بين الأم وطفلها أقوى من العلاقة بينه وبين أبيه . وقد تكون عاطفة الأمومة أقوى عواطف المرأة ، وقد يصاحب هذه العاطفة حب لوالد الطفل ، وبعض النسوة يملن للزواج ، ولكنهن يكرهن إنجاب الأطفال ، بينما البعض الآخر لا يجدن عاطفة في حياتهن الزوجية إلا إنجاب الأطفال . والغالب أن تتساوى عاطفة الزوجية وعاطفة الأمومة ، وألا تطغى إحداهما على الأخرى .

ولا يزال الحب الأبوي في طريق التطور في الحيوانات العليا والإنسان

ونحن نعلم أن الدجاجة الهيابة تظهر شجاعة نادرة فى الدفاع عن صغارها (الكتاكيت)، وأن ذكور الطير تظهر نفس الشجاعة فى الدفاع، عن صغارها وإناثها.

وارتباط الأم وطفلها وثيق فعلا، وتأثير الأم فعال فى سنى الطفولة المبكرة، وهو أقوى من تأثير الأب، فالأم هى الصديق الأساسى والمعلم الأول لأطفالها خلال سنواتهم الأولى فى الحياة.

---

obeikandl.com

مشاكل الطفولة

— ١ —

ليس لدى الطفل قدرة طبيعية تولد معه للتمييز بين الصواب والخطأ ، بين القسوة والشفقة ، بين نظافة الجسد والقذارة ، والسلوك الحسن والنظافة إنما يلقنان للطفل تلقينا ، والطفل يظل إلى أن يتهذب ويتعلم يخطف مالا يناسبه من طعام ، ويتناول الأدوات الزاهية التى تستلفت نظره ويحطمها ويوسخ نفسه ، ويحاول أن يفرض إرادته بالصراخ والعويل ، ولا يعتبر الطفل مسئولا عما يأتى من الأفعال إلا بعد أن يدرك عن طريق التلقين أن عملا ما خير ، وأن الآخر شر .

والطفل الصغير يتعلم أول مايتعلم أن يحب أبويه ، وتنشأ إلى جانب هذه العاطفة حاسة الخوف ، وإننا لنجد بين بعض الأطفال الذين نشأوا تحت ضغط شديد وفى مجال محدود ، نجد بينهم الشعور بالكراهية المكبوتة أو الظاهرة نحو آبائهم ، ومن الثابت أن الأطفال يميلون لإظهار عواطفهم نحو الأمهات فى طفولتهم المبكرة ، وأن البنات فى نفس السن يميلون إلى آبائهم وهذا الميل قد يستمر ويظهر خلال الصبا .

واعتماد الطفل على أبويه كبير فى هذه المرحلة ، لأنهما وخصوصاً الأم يمدان الطفل بكل حاجاته المبكرة بدنياً وعقلياً ، والطفل الصغير يعتقد أن

أبويه لديهما القدرة على كل شيء ، وأن طلباته عندهما مجابة طالما لا يزال في المهد ورغبة الطفل في الراحة والسرور تؤدي إلى حالة لا واعية من الأنانية ولكنها تظهر نفسها بقوة والتوجيه يحولها إلى نوع من إنكار الذات .

ويعتقد بروفسور «دوجال» أن « الغريزة الجنسية تظهر نفسها في الطفل الطبيعي في سن الثامنة ، ولو أنه من الممكن قبل ذلك أن تظهر تحت تأثير ظروف سيئة » .

وقد تُلاحظ بعض العلامات الجنسية المبهمة خلال الصبا الباكر ، والتطور المبكر للنشاط الجنسي ذو تأثير هام في قابل الحياة ، وتكوين الخلق .

وفرويد يعتبر حب الأطفال لآبائهم حباً جنسياً ، وكذلك حب الآباء للأطفال ، وهو لا يعني بلفظة جنس العملية الطبيعية وحدها ، ولكنها تطوي المعاني والعوامل العاطفية التي تعتبرها « روحية » والغريزة الجنسية في نظر فرويد من أكبر القوى الدافعة في الحياة إن لم تكن القوة الرئيسية ، هي الليبيدو أو الرغبة الحافزة الملحة ، هي أساس الخلق والسلوك والمواهب كما أنها منبع النشاط الخالق .

ومع أن سن البلوغ هو الزمن الذي يستجيب فيه الفتيان والفتيات لأفكار الحب إلا أن الأعضاء التناسلية تتكون قبل الميلاد ، وهناك بعض مناطق من الجسم مرتبطة عصبياً مع الجهاز التناسلي وهذه يمكن إثارتها والتلذذ بها قبل البلوغ بزمان طويل وهذا الشعور باللذة يحدث في جسم الطفل ، ومن الثابت أنه مرتبط بالرغبة في الرضاع وباللذة أثناء الإفراز خلال عمليات التبرز والتبول ، ولا يمكن أن يلام الطفل لهذا لأنه أمر آلي وغريزي بحت .

وقد تعرض الفسيولوجى الكبير متشنيكوف لهذا الموضوع فوصفه النشاط المبكر للغريزة الجنسية بأنه أحد الاختلالات الطبيعية فى الجنس البشرى ، ويجب علينا على أى حال أن نتقبل قوانين الطبيعة على علاتها ، وأن نفهم أن المسألة الجنسية من الناحية المعنوية هى الملاءمة بين الرغبات الجنسية وبين حقائق الحياة المتمدينة الحديثة ، وهى مفتاح سلوكنا الشخصى والاجتماعى .

ويقول فرويد إن الأطفال الصغار أنانيون من الدرجة الأولى ، ومحبون لأنفسهم أما حب الآخرين فانه ينشأ بعد ذلك ، وأول حب للآخرين ينشأ عند الطفل هو حب الوالدين ، أو أى شخص آخر يخيل للطفل أنه أبوه ، وفى خلال الفترة المدرسية يظهر انجذاب الطفل إلى طفل مشابه له فى الجنس ، أما فى نهاية مراحل التطور الصبيانى فإن الحب والإحساس الجنسى يتحولان إلى شخص من الجنس الآخر ، وقد لا يحدث هذا التحول الطبيعى خلال الشباب ، وفى هذه الحالة يكون هناك كبت للشعور الجنسى عقلياً وانفعالياً وقد تتحول بعض الحالات الجنسية خلال الصبا إلى طريق شاذ بدلا من الطريق الطبيعى ، فقد يحدث أن الشاب أو الفتاة تبقى (مرتبطة) بمرحلة « حب النفس » ويتحول كلاهما إلى مدمن للعادة السرية مفضلا استجلاب اللذة بهذه الوسيلة الشاذة .

وفى الحالات الطبيعية الصحية يكون حُبُّ الشباب بمعزل عن الحب الطفلى فتتلاشى الأنانية ويحل محلها حب الجنس الآخر ، وتتلاشى الرغبات الطفلية أو تختفى ، وتسير الغريزة الجنسية فى طريقها الطبيعى ، فتؤدى إلى الغزل والوقوع فى الحب ، فاذا بلغ الشاب الرجولة أو بلغت الفتاة

الأنوثة بعد شباب محروم دون أن تكون هناك دلالة على الحب أو الإصابة بالتوتر العصبي فإن القدرة على الحب تكون قد تحولت في هذه الحالة إلى صور أخرى من النشاط أو « التسامي »

« والتسامي » لا يعني القضاء على الشعور بالحب أو الكبت القاسي لهذه الغريزة ولكنه تصريف « الليبيدو » في مجار أخرى غير المجاري الجنسية ، وهذه العملية مجهود مباشر كامل يبذله العقل الواعي لاستبدال متعة بأخرى ، فالدراسة والابتكار والقراءة والعمل كلها مخارج للنشاط المرتبط بالغريزة الجنسية في كثير من الشبان ، وعلى كل حال فان الحياة ليست كلها استمتاعاً وأحلاماً بالسعادة المرتقبة ، ولكن فيها بعض الكبت الخفيف الذي يمضي بالراحة ، وقد يعقب هذا تلهف على الاستمتاع بالحب ، أو حالة من التوتر الطبيعي لا يمكن أن يخطئها الملاحظ ، وهذا يدل على أن هناك نشاطاً حراً يمكن استنفاده في العمل والرياضة وهذا النشاط يعلن عن نفسه فجأة وبدون انتظار ، وهذه هي الفرصة التي تختبر فيها قوة السيطرة وهل الشخص لديه القدرة على اكتشاف وسائل أخرى للتسامي أم لا ؟ وقد يكون الصراع عنيفاً حتى ينتهي بالاستسلام للتحريض الذي يثيره الميل الشاذ ، أو « الحب غير المشروع » كما يسمونه أو الاستمتاع الشخصي إما « بالعادة السرية » أو بالاستغراق في « أحلام اليقظة »

ويقول بروفسور دوجال « إن الشاب ولو أنه غير مجرب ويجهل الاتصال الجنسي جهلا تاما إلا أنه قد يحس بانجذاب شديد إلى أنثى من الجنس الآخر ، فيبحث عنها ويحن إلى قربها ويتبعها ويحس بمتعة كبيرة

بدأ فى ملامسة جسده لجسدها ، ثم يمضى فى حديثه قائلا : إنه تحت تأثير حالات عاطفية حادة قد يؤدى الانفعال إلى حدوث بعض المراحل الأولية لعملية الإنصباب دون مقاومة ما » .

ولقد أشرت قبل ذلك إلى المثيرات العاطفية فى حياتنا المتحضرة ، ونستطيع أن نفترض أن شباب الجنسين فى قدرته — فى بعض الأحيان — ألا يستجيب لدواعى الجنس رغم أنه معرض فى حياته الاجتماعية اليومية خلال الرقص والنزهات وحضور التمثيليات ، والحياة المترفة وتأثير الكحولات فى السيطرة على المشاعر ، كل ذلك يمكن ألا يثير الناحية الجنسية فى بعض الأحيان .

— ٢ —

وأشد المواضيع غموضاً فى ذهن الطفل ذى الذكاء العادى ، والسؤال الذى يقلقه هو « كيف جئت إلى الوجود ؟ » وبعض الآباء يفترضون أن السؤال لا يجول بأذهان أطفالهم ، والبعض الآخر يظن أن سن الخامسة هو السن الذى يبدأ فيه هذا الغموض ينجاب ، ومن المحتمل أن يجد معظم الأطفال متعة كبيرة عميقة فى ذلك الغموض قبل بلوغ الخامسة بوقت طويل وقليل منا من يحتفظ بأفكاره الجنسية التى كانت تراوده فى سنى حياته الأربع ولقد نسينا معظم التأثيرات التى كان لها دور هام فى تكوين شخصياتنا وأفكارنا وميولنا العاطفية .

وأغلب الأطفال يسألون آباءهم كيف جاءوا إلى الوجود ؟ ولكن

أغلبهم لا يحصلون من آبائهم إلا على إجابات مضللة غير مقنعة ، بل وضارة في معظم الأحيان . وحجة الأمهات أن الطفل ينبغي أن يكون « بريئاً » في تفكيره بأي ثمن ، ولكن المسألة ليست مسألة « براءة » أو « إذناب » إن تساؤل الطفل على هذا النحو دليل الذكاء والحيرة ، فهو حينما يسأل « كيف ولدت ؟ » فلن يضره شيئاً أن يلم ببعض المعلومات الفسيولوجية ، وليست المعلومات العلمية عدوا لبراءة الطفل ، ولكن العدو اللدود كامن في الخرافات الشائعة ، والحقائق المشوهة والأكاذيب ، وفي امتناع الآباء عن الإجابة على أسئلة طبيعية .

وغموض مسألة الولادة أصل مشكلة من أولى مشاكل الطفولة ، وقد تكون الحيرة في بعض الأطفال شديدة لدرجة أنهم يركزون تفكيرهم في هذه المسألة ، وكلما أمعن الآباء في التعمية زادت حيرة الطفل ، وبعد أن يكرر الطفل هذا السؤال على أبويه ومن هم أكبر منه سناً ، ثم لا يظفر بجواب على سؤاله ، فإنه ييأس وينطوي على نفسه . ولا يعني ذلك أنه هدأ واستراح فإنه ينصرف إلى رفقائه ورفيقاته ، وإلى الخدم والخادمات والغرباء يسألهم نفس السؤال ، وتكون النتيجة أن يحصل على معلومات ضارة مشوهة ، فينقلب تفكير الطفل في المسائل الجنسية طول الحياة ، ويخيل للطفل أن المسألة مخجلة وقذرة ، ويتولاه الخوف من ذكرها لأبويه ، وبهذه الطريقة تنشأ مشكلة قد تصبح في بعض الحالات نواة أو مصدراً للاضطراب العصبي والعقلي في مقبل الحياة .

وعند ما يكون الطفل خجولا أو منطويا على نفسه يخشى أن يسأل أحداً

فى أى موضوع فإنه يكون لنفسه نظريات خاصة به ، وهذا هو مصدر المتاعب التى تؤثر فى المظهر العقلى لدرجة كبيرة ، وكثيرا ما يحلم الأطفال بهذا الموضوع فى فترة الصبا ، وهذه الحيرة فى أفكار الطفل تعقب نتائج محزنة فيما بعد ، فمحاولات الكبار لكبت أفكار الطفل غالباً ما تؤدى بالطفل إلى العزلة والانطواء على النفس وتجنب الاختلاط بالناس .

وعقدة أخرى يحتمل أن تحدث حينما يجد الطفل لذة فى الأعضاء التناسلية وعملية إفراز الفضلات ، وفى هذه الحالة أيضا يسكتونه حين يسأل أو يجيبونه إجابات خرافية بدلا من ذكر الحقائق ، وكثير من الفتيات الصغيرات يعتقدن أنهن أحياء ناقصات أو رجال لم يتم تكوينهم لأنهن يفتقرن إلى أعضاء التناسل فى الرجل ، وهذه العقدة توجد عند النسوة اللاتى يحسدن الرجال على ميزاتهم الجنسية أو عندهن غيرة جنسية ، وأمثال هؤلاء النسوة لا يجدن أى نوع من السعادة فى الحب الزوجى ، وكذلك الأطفال الذين لديهم عقدة اعتبار البنات مخلوقات ناقصة نظراً لاختلافهم الجنسى يصبحون فيما بعد مغرورين ويحتقرون « الجنس اللطيف » .

وإن مقاومة المعلومات الجنسية وتجاهلها تنتج مشاكل كثيرة فى الحياة ، والحب الموجود بين الرجل والمرأة يقوم على فوارق جنسية أساسية وثانوية وكل عضو فى الجسم لا يقل أهمية عن العضو الآخر ، وهل من المقبول عقلا ومنطقاً أن ننظر إلى الشفتين اللتين نقبلهما على أنهما مخجلتان لأننا نستخدمهما فى تناول الطعام ؟ وهل هناك من يقول بأن من الرقة أن تدرس العين وليس منها فى شىء أن تدرس الأعضاء التناسلية ؟ وهل كانت الخرافة

على حق حين قالت : إن الله خلق نصف الإنسان العلوى ، أما النصف السفلى فمن صنع الشيطان ؟ إن هذه الخرافات تحيط العلاقات الجنسية بسياج من الأوهام يهدم صرح السعادة ويكبت أكبر الدوافع للحياة .

— ٣ —

والأطفال يكونون عادة مشابهين للتوحشين البدائيين فى أعمالهم فهم يتشوفون إلى النيران ويحبون اللعب بها ، ويتعلمون أن النار يمكن أن تحرق وتؤذى فيخافونها ويحذرونها ، وهم كذلك يحبون اللعب بالمياه والخيط فيها ، ويظل الطفل يعبث بالقاذورات حتى يهذب سواء كان بدائياً أو متحضراً ، والدوافع البدائية سرعان ما تواجه الطفل بمشاكل الحياة المتحضرة من قواعد النظافة والرشاقة ومراعاة حقوق الآخرين ، إن الصراع العقلى يبدأ خلال الطفولة ويستمر ما دامت الحياة .

وجميع الرغبات البدائية تظهر فى أتون النظام الاجتماعى اليومى فى المجتمع الذى نعيش فيه ، ويجب أن نهذب الدوافع الطبيعية منذ البداية ، فنحن نعلم أبناءنا اللعب بالرمل والتراب بدلا من القاذورات ، وقد يتطور ذلك اللعب البدائى فيما بعد إلى مهارة يدوية أو مقدرة على النحت أو فلاحة البساتين وتنسيق الحدائق ، ويظهر الأطفال رغبة فطرية فى تسلق الأشجار ، ويصنعون حراباً وأقواساً وأسهماً وغير ذلك من الأسلحة البدائية ، وكذلك يظهر الأطفال سروراً كبيراً بارتداء الملابس الزاهية ، والمعارك الوهمية وإظهار القوة ، والقسوة على الحيوانات بل على بعضهم البعض .

ومعظم الأطفال يتبرمون بلبس الملابس ويفضلون البقاء عرايا ، إذا كان هناك ما يقيهم البرد ، وصغار الأطفال يحبون أن يتحسسوا كل جزء من أجسامهم وتلك طبيعة فينا جميعاً ، ولكن فكرة الرشاقة تتعارض مع رغبة الأطفال فى عرض أجسامهم عارية بفخار ، وهناك صورة أخرى لإظهار النفس ، وهى المباهاة بالملابس والإتيان بالحركات التى تسر الغير ، وإظهار النفس هذا يكون فى دور المراهقة على صورة هواية من الهوايات كالعمل الفنى ، أو شغل مراكز رسمية ، أو لبس بذلة عسكرية ، أما إظهار النفس عند الأنثى فيكون بتزيين الجسم والتحلى بالجواهر ، واستعمال كثير من الوسائل الصناعية لإبراز أنوثتها وجذب الأنظار إليها .

وجميع الدوافع التى لدينا أساسية كانت أم ثانوية إنما تخضع لقدر من الكبت يولد مشاكل عقلية ، فرغبتى مثلا فى صيد السمك تعاودنى كل صباح حينما أصحو ، ولكنها تصطدم برغبة أخرى هى رغبتى فى الدرس وإظهار النفس عن طريق الكتابة ، ولابد من كبت إحدى الرغبتين ، وهكذا يكون الاختيار عسيرا ، وكلا الطفل والرجل البدائى لديهما كراهية شديدة للكتب لأنهما يريدان التعبير عن نفسيهما بحرية ، وكذلك المراهقون لديهم هذه الكراهية للكبت ، ولكنهم تعلموا أن قبول الكبت أمر ضرورى للمعيشة فى ظل المجتمع ، ويجب أن يضحوا هذه التضحية لينالوا الراحة ، وكثير من الناس يقسرون أنفسهم على العمل حينما يرغبون فى اللعب أو الركون إلى الخمول ، ويجب أن نحد من شهيتنا إذا أردنا أن نوفق بين الصحة والمعيشة فى ظل المجتمع ، وينبغى أن نفهم أن الاعتدال فى الرغبات يؤكد السيطرة .

وينبغى لنا أن ننظر الآن فى ميول الطفولة وتأثيراتها فى تكوين الخلق ، فمن الواضح أن « الطفل أبو الرجل » وأن من شب على شىء شاب عليه ، والميل فى الرجل أو المرأة هو انحراف العقل فى اتجاه معين ، وهذا الانحراف ينشأ فى الطفولة الباكرة ويكون ملحوظاً فى الأولاد ، فالطفل الذى لديه ميل « الجمع » سيبدأ فى بكور عمره يجمع مايقابله من الأشياء عديمة الفائدة وينظر إليها على أنها ممتلكاته الخاصة ، ثم تنصرف هوايته فيما بعد إلى جمع طوابع البريد أو القطع الأثرية ، ويتضح ميله إلى جمع الأشياء ، فإذا أظهر حرصاً شديداً على هذه الاشياء فإنه سيصبح فيما بعد بخيلا ، فإذا أظهر ميلا للبحث عن الثروات فى غير مصادرها السهل فانه من المحتمل أن يكون رجل أعمال قادرا .

وهناك انحراف آخر هو الشغف بالوالد المخالف فى الجنس ، فالطفل الذى يعتمد كلياً على أمه العزيزة قد لا يتبقى لديه شىء من الحب يسبغه على شخص آخر خلال رجولته . ويظهر انحرافه هذا فى رغبته عن الزواج ، أو بزواجه بامرأة تكبره فى السن ، أو بامرأة تعيد إلى ذهنه صورة أمه ، والبنات المماثلات اللواتى يشغفن بآبائهن قد يبقين عانسات ، أو يتزوجن رجلا يجدن فيه صفات الأب المحبوب .

وعند ما يظهر الولد أو البنت ميلا نحو الجنس المخالف ، فاننا لا نعدو

الصواب إذا قلنا إنه أو إنها ذات طبيعة عاطفية ، وأن هذا الميل سوف ينتج خيراً أو شراً تبعاً لاتجاه الدافع ، فمثلا نجد أن الولد قد يصبح مغرماً متطرفاً أو زوجا غيوراً ، أو أباً مثالياً ، والفتاة ذات الميل القوى النشيط قد تتجه إلى الحب الشريف فالزواج فالأمومة ، وربما شقت عصا الطاعة على الأوضاع الجنسية وأصبحت إباحية أو ربما من بنات الهوى .

وكل شاب أو فتاة يجب أن يحاول فهم انحرافاته وميوله ، وأن يواجهها بشجاعة وذكاء ، فمعظم الميول التي قد تؤدى إلى الخجل والإحساس بالعار إذا اتجهت اتجاهاً خاطئاً ، قد تؤدى أيضاً إلى النجاح والسعادة إذا أحسن توجيهها ، والميل الشديد يجب أن لا يوجه على أنه نقص أو شذوذ ، فقد يكون عنصراً وراثياً هاماً ، والمسألة مسألة استعمال صحيح أو خاطىء لذلك الميل أو الانحراف ، ولدينا كثير من النوابغ الذين تساموا بالغريزة الجنسية ، فأمكنهم أن يسدوا خيراً كثيراً للإنسانية والمجتمع ، ومثل هذه الميول قد تحول الرجل إلى اجتماعى يحب عشيرته ، وقد تحول الرجل الآخر إلى أب مثالى ورب عائلة يحب أبناءه وزوجه ، وإن أى عمل مضاد للرغبة يقوى من إرادتنا ، وأى استسلام يضعفها ، فلماذا نفسح الطريق للدوافع الضارة ونتجاهل الفضائل الإيجابية ؟ والجواب على ذلك هو أن عقلنا الباطن . هو مخزن الرغبات القوية ، فى صراع دائم مع قوى العقل الواعى ، فالعقل الواعى قادر على التفكير وعلى الرغبة ، ومن الخير أن نتذكر أن ثقافة العقل الواعى تعمل ضد هذه الميول التى تكمن فى العقل

الباطن ، وقد تؤدى إلى متاعب جدية ، والعقل الباطن كالمارد الشديد أو كالجنى الضخم داخل نفوسنا ، وذلك الجنى عبارة عن غول كسول طلاب للذة ، وهذا الغول يقاومه التفكير السليم ، والمعرفة الشخصية ، والتفكير فى النفس ، وإن كلا منا لديه قدرة تمكنه من السير فى طريق الخير إلى أقصى مدى .

obeikandl.com

أزمة الشباب

— ١ —

— إن فترة البلوغ فى كلا الجنسين والتى تتميز ببعض التغيرات الجثمانية تبدأ عند الذكور عادة فى سن الخامسة عشرة ، ومن سن الثالثة عشرة ونصف إلى الخامسة عشرة عند الإناث . وفترة التحول إلى رجل أو امرأة بالغ تستغرق حوالى العامين ، ومظاهر البلوغ عند الذكور هو تغير الصوت فيصبح عميقاً ، وتقوى العظام والعضلات ، وتكبر الأعضاء التناسلية ، ولو فحص السائل المنوى للشبان فى سن السادسة عشرة فقد توجد به حيوانات منوية ، ولكن مظاهر البلوغ لا تلاحظ إلا بعد عام من ذلك التاريخ .

وعوامل الحب والإحساس باللذة الناتجة عن التوتر تظهر عادة فى الذكور خلال فترة البلوغ ، وهذا الانفعال يكون أصيلا ومؤكداً فى المخ والجسم عن الانفعالات التى تعتور الانسان خلال الطفولة ، ولكنه يجب أن يكون مفهوما أن الأشخاص يختلفون اختلافا بيناً من هذه الناحية بالذات ، وقد تتيقظ الغريزة الجنسية عند الأولاد والبنات فى سن مبكرة ، فيتطور البعض تطورا مبكراً ، ويتأخر تطور البعض إلى حين ، وقد لا يظهر عند الفتيات إلا قليل من الوعى الجنسى قبل أن يقعن فى الحب ، ولكن كلا الجنسين يكون قادراً فى هذه السن على تمييز طبيعة الرغبات الجديدة فى الجنس الآخر .

ويجب أن ندرك أن اللذة الجنسية يحتمل أن تحدث فى هذه الفترة بشكل ملحوظ . وهذا الإحساس يمكن أن يعزى إلى عدة أسباب :

أولا : قد ينشأ فى الشبان خلال نضج الحيوانات المنوية فى أعضاء التوليد وفى الفتيات ينشأ خلال كبة السائل من المبايض ونضج البيضة فى الرحم .

ثانيا : وينشأ عقلياً خلال الأفكار والتخيلات .

ثالثا : وبالإثارة المقصودة للمراكز الجنسية وخصوصاً الأعضاء الخارجية .

رابعا : بإفراز الهرمونات من الغدد الصماء .

وفيما عدا السبب الثالث فان هذه اللذة توصف بأنها طبيعية ، والدافع الجنسى ينشأ عادة كدافع الجوع للطعام . وهذه الرغبات والانفعالات الجنسية علامات القدرة على الحب التى وجدت حديثاً فى الشخص ، وهذه الرغبات والانفعالات طبيعية وعادية وصحية إلا إذا كانت متابعة مستمرة ، وليس هناك خطيئة أوعار فى هذه الرغبات كما يظنها البعض ، ولكن التوجيه الخاطىء لها ينتج شراً مستطيرا .

والتغيرات الأساسية التى تحدث للفتيات فى فترة البلوغ هى نزول العادة الشهرية (دم الحيض) وتطور الأعضاء الجنسية من الداخل والخارج ، ونمو الثديين حتى يتخذ الصدر شكله المألوف ، والقدرة على إدرار اللبن بعد وضع الطفل ، وعلى العموم فان الجسم ينمو بأكمله نمواً سريعاً ويزيد وزنه وطوله وتظهر الفتاة بمظهر المرأة الكاملة الأنوثة فى كل ملامحها .

والتطورات النفسية فى كلا الجنسين تكون واضحة كل الوضوح خلال فترة البلوغ ، ففى هذه الفترة تتلاشى بعض الرغبات الطفلية والأفكار والمتع وتتيقظ العاطفة الدينية ، ويدق الشعور ويتمشى خطوة خطوة مع الأفكار الخيالية عن الحب ، ويعقد الشخص صلات حساسة مع أفراد جنسه ، ويجد الشاب والفتاة متعة فى تزيين أجسامهم بالملابس أو الحلى ، فالشبان يحاولون الظهور بمظهر الرجولة ، وتظهر الفتيات الفخر بأنوثتهن ، ويبدأ الشاب يدخن فى هذه السن وقد يحاول شرب الخمر ، وهو يميل على أى حال الى إتيان ما تقتضيه الرجولة — فى نظره هو — أما الفتاة فتسلك سلوك المرأة الشابة وتتعود عاداتها .

وكلا الجنسين تراوده فى هذه السن أحلام كبار عن مستقبله ، وفيما بين الثالثة عشرة والثامنة عشرة تمر الفتيات خلال فترة تجارب المراهقة ، وفى سن الثامنة عشرة يكون كلا الجنسين كاملا من الناحية الجنسية ، ولكن هناك الكثير من الأسباب الصحية والاجتماعية والاقتصادية التى تحتم عليهم عيشة العزوبة سنوات أخرى قليلة ، والدراسة والعمل لاكتساب القوت ، والهواية الفنية والابتكار والرياضة ، كل ذلك يمتص جزءاً كبيراً من نشاط المراهقة ، فاذا كان جزء كبير من ذلك النشاط لا يزال حراً فإنه يتحول من تلقاء نفسه الى متعة الحب ، وهذا الامتصاص يظهر على شكل قراءة قصص الحب ، والتحدث عن هذه العاطفة ، ويتمثل كذلك فى أحلام اليقظة ، والقلق النفسى والتطلع الى اللذة .

وتنتاب المراهق بانتظام فترات غريبة من البأس والشقاء على حين فجأة ، فاذا كان العقل سقيما فى هذه الفترة فانه يكون معرضاً لكثير من الأمراض النفسية « النوروزية » كالمخاوف التى تعاود الإنسان من حين الى حين ، والهستيريا ، والخضوع لفكرة معينة تسيطر على العقل ، وهذه الحالات المضطربة للمخ تكون فى العادة نتيجة للجهل الجنسى الذى يؤدى الى إعمال الفكر والإحساس بالعار والخطيئة والعقد النفسية التى تنتج من التجارب المكبوتة خلال مرحلة الطفولة والصبا .

وهذه هى سن الشك والازدواج والبحث — سراً — فى هذه الدوافع الخفية للحب وإظهار الحياة الجنسية ، والشاب والفتاة يميلان للخجل فى هذه الفترة وهما يعانيان من الخوف حينما يقابل أحدهما الآخر ، والانفعالات المعقدة تدفع بالدم الى الوجنات وتحدث ارتباكا فى الكلام وبعض الفتيان والفتيات يصبحون منطوين على أنفسهم وينفرون من المجتمع ، وهم فى هذه الفترة يعانون حساسية جديدة ، ويظهر عندهم ميل الى الأبوة ، ويحسون الثورة على القيود الاجتماعية ويهفون الى الحرية والاستقلال.

وقد تستطيع القول الآن بأننا رسمنا باختصار خط التطور للانفعال الجنسى فى الحب منذ بدايته فى الطفل الصغير ، وخلال فترة الحضانة ، وفترة المدرسة حتى البلوغ ومرحلته الدقيقة ، وحب النفس عند الطفل يتحور إلى حب والديه ، ثم يتحول «الليبدو» فيما بعد من الأبوين إلى رفيق فى الدراسة من نفس الجنس ، ثم يتحول فى النهاية إلى رفيق من الجنس المخالف ، وليس

هناك طريق ثابت يسير فيه تطور الغريزة الجنسية فى كل اثنين متشابهين ، ولكن هناك كثيراً من الفوارق والاختلافات بين الأفراد . ولكننا لو نظرنا للموضوع بوجه عام بأننا جميعاً نمر خلال الطفولة والصبا ومرحلة البلوغ ثم المراحل الأخيرة من المراهقة التى يحدث فيها التطور الجنسى العضوى حتى تصل إلى الكمال الجنسى بعد سن الثامنة عشرة .

وقد يحدث أن يتوقف التطور الجنسى عند مرحلة من المراحل فى النمو ، فقد يظل الرجل أو المرأة متوقفا عند مرحلة الطفولة حيث حبه لنفسه وتمجيده لها ، ويحدث توقف آخر حينما لا يستطيع شخص ما أن يحب رفيقاً من الجنس الآخر ، وهذه التوقفات فى التطور هى سبب الأحزان والشقاء فيما يستقبل من الحياة ، وقد تكون منفذاً لبعض أنواع الشذوذ الجنسى .

— ٣ —

ويجب أن نوجه الانتباه الشديد إلى أمر من أشد الأمور خطورة فى حياة الشاب أو الفتاة ، وهذه المسألة تتعلق بالتجارب القاسية التى يعانيها كلاهما فى مطلع الشباب . وقد دلت التجارب على أنه من المتعذر أن نبدد الألم العميق والإحساس بالعار واليأس الناتج عن ممارسة العادة الشائعة ، وهى العادة السرية المعروفة عند الشباب باسم « التأبيظ » .

والعادة السرية هى الأسلوب الشخصى لإمتاع النفس بالغريزة الجنسية باستخدام الأعضاء التناسلية دون الحاجة إلى الاتصال الجنسى . والمفهوم أن هناك طرقاً عديدة لمباشرة هذه العادة .

فكيف انتشرت هذه العادة بين الناس ؟ الأسباب لذلك كثيرة ، والسبب الأول هو أن الدافع الجنسى ينشأ ويبلغ أوج قوته قبل سن الزواج ، ونحن نعلم جيدا أن الرغبة الجنسية قد تلاحظ فى الصبيان وكثيرا ما تظهر فى الأطفال الذين يجدون لذة فى العبث بأعضائهم التناسلية ، ثم تظهر بصورة جلية بعد البلوغ ، والعادة السرية تنتشر فى الأوساط البدائية والمتمدينة على السواء ، وكثيرا ما نشاهد الحيوانات المحرومة من الاتصال بأفراد الجنس الآخر تباشر هذه العملية ، والواقع أن العادة السرية أحد مظاهر البشرية الهامة عبر الكرة الأرضية .

وهذا « البديل » للإشباع الطبيعى للرغبة الجنسية يلعب دوراً كبيراً فى تكوين الشخصية وله تأثير عميق ، وهو مرتبط ارتباطاً وثيقاً بحب النفس ، وهو فى الواقع مظهر من مظاهر التثبيت الجنسى ، ومن الطبيعى أن الدافع الجنسى يؤدى إلى حب شخص آخر خارج عن نطاق النفس والرجل الطبيعى العادى يبحث عن أنثى ، والمرأة الطبيعية العادية تنتظر الرجل الذى يبحث عنها ، وكلاهما يجد متعته فى الاتصال الجنسى بعد تجربته .

وسنوضح أسباب العادة السرية لكى نفهم بصورة واضحة طبيعتها الحقة وأحد الأسباب تلقائى محض ينبعث دون تفكير ، وذلك عند ما يكتشف طفل من أحد الجنسين ذلك بالصدفة بأن يلمس الأعضاء التناسلية ويتحسسها ، أو بأن يرقد فى وضع معين أو بالاحتكاك بالأشياء فإنه يشعر بلذة ، وفى فترة الطفولة لا يمكن أن نوجه اللوم إلى أحد لأن الطفل يعمل آلياً ودون أبسط وعى لما يرتكب من أخطاء ، وقد تصبح هذه العادة مزمنة لسوء

الخط ، فتتكرر دائما وتصبح إدماناً أو دافعاً لا يرد .

وبعض الحالات العضوية قد تفسر منشأ هذه العادة فى الأطفال والكبار فمن أسبابها ، أكلان ، السطح الخارجى للاعضاء التناسلية فى كلا الجنسين ، والمضايقات التى تنتج عن القذارة والالتهابات ووجود الديدان فى المثانة وآلام الرحم والخصى ، والأرق ، والتهيج العصبى ، وضغط الدم والصرع ، ويحتمل أن تبدأ العادة فى كثير من الحالات بشعور مستمر بالتوتر أو الامتلاء نتيجة لتدفق الإفرازات الداخلية فى الدم ، وهذه الإفرازات الهرمونية تنشط الجهاز التناسلى وتسبب حالة تغليظ وتكبير الأعضاء التناسلية ، ونجد لها منفذاً فى إفراغ الإفرازات التناسلية التى تحدث عند كلا الجنسين خلال فترة المراهقة ، وعند ما يلاحظ أن طفلا يكتشف هذه اللذة فى أعضائه التناسلية فان على أبويه أن يفهماه — سواء كان ذكراً أم أنثى — ان هذا الأمر عيب وغير مرغوب فيه فنجده فى هذه الحالة يحول اهتمامه من أسفل الجسم الى أعلاه فيمص إبهامه ، وقد تلازمه هذه العادة حتى سن المراهقة ، وهناك أشكال أخرى للعادة السرية بعيدة عن الاستخدام المباشر للأعضاء التناسلية ، وغالباً ما يكون أى عضو حساس السطح قادراً على تنشيط التهيج وهذا الأمر يعرف بالتعويض ، والتعويض عن العادة السرية أكثر احتمالا فى النساء منه فى الرجال لوجود كثير من الأعضاء الحساسة القابلة للإثارة .

— ٤ —

والعادة السرية قبل سن البلوغ وبعده كثيرة الانتشار ، وتتوقف

التجارب بعد فترة الطفولة وتظل كذلك لسنوات عدة ثم تستأنف عند ما تتيقظ الأحاسيس تبعاً للتغيرات البدنية والعقلية التى تحدث فى فترة المراهقة وفى المعاهد الداخلية نجد شتى طرق إظهار العادة السرية نتيجة الميل للعزلة ويحدث الشىء نفسه فى المصانع التى تستخـــدم المراهقين ، والمناقشات والأحاديث العابثة المهيجة تزيد من الميل لممارسة هذه العادة ، والكسل والإمتلاء بالطعـام وشدة الدفء ، وشرب الكحولات تعمل جميعاً على الإثارة الجنسيـة ، والاحتـــلام فى رأى بعض الأطبـاء مرتبط بالعادة السرية .

ويمكن أن نقسم المعرضين لهذه التجربة إلى ثلاث فئات ، فالأولى نجدها بين الجنسين فى الأفراد الذين لا يخضعون للمثيرات ويمكنهم أن يضبطوا أنفسهم ، والثانية تشمل أولئك الذين يمارسون العادة السرية بكثرة ولكن بطريقة غير محطمة ويستمرون على ممـارسة تلك العادة فترة طويلة أو طوال حياتهم ، أما الفئة الثالثة فتشمل أولئك الذين يلجأون إلى ممـارسة العادة السرية بطريق غير مباشر كالاستسلام لأحلام اليقظة (الاستمناء العقلى) والتصورات الماجنة ويرتاحون إلى الصور العارية وصور الأوضاع الجنسية الصارخة ، وقد يكون الميل الجنسى بالغاً حد الضعف أو زائداً عن الحد فى بعض الأشخاص ، ويكون فى الآخر خاضعاً لعقولهم وهذا النوع الأخير قليل نسبياً .

ويقول بعض الباحثين إن تسعين فى المـائة من الأحيـاء المتحضرين مارسوا أو يمارسون هذه العادة سواء خلال فترة الطفولة أو المراهقة أو

عند اكتمال الرجولة أو الأنوثة ، والبعض الآخر لا يزيدون هذه النسبة عن خمسين في المائة ، والذي نستطيع تقريره أن الكثيرين يمارسون هذه العادة وبصور متعددة . وهذه العادة أشد ما تكون وضوحا بين العزاب والذكور المترملين والأرامل من النساء .

وكثيراً ما نلتقي بشبان مارسوا هذه العادة منذ الطفولة ثم استمروا على ممارستها دون النظر لاعتبارات الصحة أو قواعد الخلق وهذه هي الأنواع الغريزية الغبية إلى حد ما والأنواع الحساسة ، وقد يصبح بعض الناس من يمارسي العادة السرية دون أن يدروا ماذا يفعلون ، ويلاحظ ذلك بين الشبان الذين نشأوا على الجهل المطلق بالمسألة الجنسية ولم يتح لهم مصاحبة أشخاص مجربين في هذه الناحية ، وفي هذه الحال تكون العادة ميكانيكية بحتة .

ولدى الشبان بوجه عام فكرة عن أضرار هذه العادة من الناحية المعنوية والصحية ، وهذه بلا شك أشد التجارب دقة في حياة الشاب أو الشابة ، والإحساس بالعار من ممارسة هذه العادة شديدة الإيلام لمن يحس به ، وقد تؤدي ببعض الناس إلى أزمة عقلية أو محاولة الإنتحار والكثير من الشبان الذين تسيطر عليهم الفكرة الدينية ، تشد بهم غرائزهم القوية فيعانون ألماً بالغاً من التشتت النفسي فهم على الدوام يخجلون أشد الخجل من مصارحة أقرب الناس إليهم بمشاكلهم ، ومداومتهم على خطاياهم وعكوفهم عليها ، وتأثير الخجل ، وفقد اتزان العقل ، تهبط بهم إلى حالة تكاد تشبه الجنون الحزين.

والإشكال الجنسى عام وشامل ، وهناك معركة ناشبة فى كل مكان بين الدوافع المهيجة و بين الأفكار العقلية والإجتماعية للعالم السائر فى طريق التقدم ، وعدد الذين يلتمسون المتعة السرية ويمارسون العادة كثير فى كل الأمم المتحضرة ، وهذه المشكلة تؤثر فى حياة الملايين فى أنحاء العالم الواسع وهذا الصراع يستنفد كثيراً من طاقة الجنس البشرى فى مراحل نموه وتطوره العقلى ، ففى الوقت الذى يحتاج الشاب فيه لكل قوته ولحشد قدرته لمواجهة حياته والحصول على عمل يعيش منه ، يثقل كاهله بتلك الضريبة الفادحة التى يفرضها عليه الصراع بين الغرائز البدائية وبين قواعد السلوك ويشتد هول هذه المعركة تبعاً لجهله الفاضح بغرائزه ، ونتيجة لإحساسه باليأس .

والألم النفس والعاطفى الذى يصيب الفتيات فى هذه الفترة غالباً ما يكون مشابهاً تمام المشابهة لألم الشبان ، فالخجل من المسائل الجنسية ملاحظ فى الفتيات أكثر جداً من الشبان ، وهذا الأمر يرجع للحجاب السميك المضروب بين الفتيات وبين الإلمام بأمور تعتبر غير مرغوب فيها ، ويرجع كذلك إلى الصور المخزية التى تلقى بها النسوة العجائز فى آذان الفتيات المراهقات ، ومعظم النسوة البالغات المكتملات لا يعرفن عن المسألة الجنسية شيئاً ، وهن كالجهلة من الرجال عرضة للمخاوف والأوهام الناشئة عن الجهل الجنسى ، وعدم فهم الانفعالات ، والظواهر الطبيعية .

وقد كتب الدكتور ويلز « إن الناحية الجنسية لا تزال مستغلقة على النساء ووطأة الجهل الجنسى أشد ثقلا عليهن من الرجال ، وهنالك انفصال بين الميول الجنسية وشخصية المرأة على الدوام ، فقد ألقى فى روع المرأة أن من العار التفكير فى المسائل الجنسية »

ونتيجة ذلك هى الكبت والاستسلام للأمانى الكاذبة وما شابه ذلك من ضروب الفساد العقلى ، والحب فكرة ماثلة على الدوام فى أذهان النساء بينما يستبعد كل ما هو متعلق بالجنس لأنه محزن فى رأيهن ، فكيف تنتظر والحالة هذه أن تنظر المرأة المسألة الجنسية نظرة مجردة وتفهم دورها الطبيعى المحتوم فى حياة البشرية ؟

والشاب الصحيح البدن يعلم معنى التوتر الذى يحس به من حين إلى آخر وليس هو الحال بالنسبة للمرأة ، وإنه لمن المعلوم جيداً أن الصراع فى عقولنا الباطنة من أعنف المعارك بالنسبة لقوة ضبط النفس وتعديلها لتناسب حقائق الحياة .

ومن المحتمل أن تكون العادة السرية أقل شيوعاً بين الفتيات منها بين الشبان ولو أن بعض الباحثين ينكر هذا ، والفكرة العامة أنها لا تحدث فى عدد كبير من النساء حتى سن الثلاثين ، ويقول البعض بأن العادة السرية (السحاق) منتشرة بين الفتيات بدرجة كبيرة لأنهن لا يستطعن مجاراة الشبان فى طرق الغواية نظراً لتكوين أجهزتهن التناسلية ودقة الأمر بالنسبة لها .

والاحتلام أو الأحلام الجنسية مظهر من مظاهر الإثارة الجنسية ، وهو يحدث خلال فترة المراهقة فى كلا الجنسين ، والاحتلام عند الرجال يكون حلما بشخص معين ، ويكون مصحوباً بإنزال السائل المنوى ، أما فى حالة النساء فان الحلم يكون فى العادة أقل تعبيراً . ومن المعتقد أنه لا توجد أحلام من هذا النوع عند الفتيات غير المجربات ، أما بين النساء والفتيات العصبيات الشبقات ، فإن هذه الأحلام إما أن تكون منطلقة أو مكبوتة ، وغالباً ما تصحب الأمانى الجنسية عند الفتيات والنسوة أحلام حية أثناء النوم ، والأحلام تعبير عن الرغبات القوية التى لم تتحقق ، والتشوق الواعى للحب — وهو رغبة غريزية طبيعية — قد يسبب حلماً عاطفياً أثناء الليل عند كلا الجنسين ، وفى حالات أخرى قد يكون الحلم تعبيراً عن رغبة مكبوتة فى العقل الباطن ، ولا يمكن أن يلومنا أحد على أحلامنا فإنها تأتى من حيث لا ندرى وفى صور غامضة ، وقد يحدث أن حلماً جنسياً لا يكون نتيجة للإثارة .

وعند الرجال الذين يحيون حياة مستقيمة قد يحدث الاحتلام فى فترات منتظمة نتيجة لامتلاء الأوعية المنوية ، فيتدفق السائل نتيجة لذلك ، وحدوثها يختلف تبعاً لاختلاف الرجال ، ولكنه محكوم بعوامل عدة ، فالأحلام تجربة تمر بالأقوياء كما تمر بالضعفاء .

والتفكير المبنى على الجهل المطلق بهذه الأمور يؤدى بكثير من الشبان

إلى الخوف والفزع من حالة الاحتلام هذه ، وينظر إليها الكثيرون بفزع خوفاً من أن تكون نتائجها سيئة كنتائج العادة السرية ، والبعض يعتقد أن الاحتلام نتيجة اضطراب عقلي أو أفكار شريرة ، والواقع أن مداومة التفكير في المسائل الجنسية يحدث الاحتلام ، ولكن ذلك لا يعني أن من يصرف نفسه عن التفكير في الأمور العاطفية لا يحتلم ، فان امتلاء المثانة أثناء الليل قد يسبب الاحتلام ، وكذلك التنشيط الكحولي قد يسبب ذلك أيضاً ، ومن أسباب الاحتلام النوم على الظهر ، والعشاء الثقيل ، والأغطية الثقيلة ، وحالات النشاط الذهني ، وكثيراً ما يحدث الاحتلام للطلبة خلال فترة الامتحانات .

ويحدث الاحتلام للمتزوجين البعيدين عن زوجاتهم ، وبين العزاب والأرامل ، ويبدأ الاحتلام في سن الثامنة عشرة تقريباً ، ويحدث في فترات تتراوح بين أسبوعين وشهر ، ويستمر حدوثه حتى سن الخامسة والعشرين أو يزيد .

وقد يحدث الاحتلام ليلاً أو نهاراً ، والاحتلام النهاري أكثر ضرراً من الاحتلام الليلي ، والاحتلام أسبوعياً لا يضر ابن الثانية والعشرين نظراً لوفرة النشاط الجنسي حتى هذه السن ، ولكنه يضر بعد ذلك وخصوصاً في حالة الإصابة بفقر الدم ، والاحتلام بكثرة يكون علامة للضعف ، وقد يكون نتيجة لممارسة العادة السرية لمدة طويلة ، أو لضعف عضوي .

وهناك خلاف بين جمهرة الأطباء حول الاحتلام ، فبينما البعض

يعتبره كصمام أمن جنسى ، ينظر إليه البعض الآخر على أنه أمر غير طبيعى وإذا نظر الإنسان إلى الاحتلام كأنه أمر طبيعى فلا ضرر ، أما إذا أخذه على أنه ضار وعلامة للضعف فان هذا مضر ويسبب له توتراً عصبياً وحالة من القلق النفسى تضر به .

— ٦ —

ومن الضرورى أن نشير إلى بعض الاضطرابات التى تحدث للفتيات أثناء فترة المراهقة ، فإن كثيراً من التعقد والألم البدنى يحدث للفتيات غير الملمسات بهذه الأمور ، وتحدث هذه المتاعب عادة أثناء فترة العادة الشهرية ، والغالبية من النساء تعلم القليل عن وظائف الأعضاء ، وعن عملية تكوين الجنين وقد لا يعلمن شيئاً على الإطلاق ، وهن كذلك لا يعلمن شيئاً عن أصول الصحة الجنسية ، ولذلك فان معظم النساء لا يستمتعن بصحة جيدة .

والعادة الشهرية تبدأ فى سن الثالثة عشرة أو الرابعة عشرة فى الأجواء المعتدلة ، وقد تبدأ قبل هذه السن فى الأجواء الحارة ، وقد يحدث اضطراب فى هذا الموعد عند الانتقال من جو إلى جو ، ويستمر نزول دم العادة من الرحم فى العادة من ثلاثة أيام إلى خمسة ، وقد يقتصر على يومين أو يزيد عن خمسة أيام ، والعادة تحدث كل ثمانية وعشرين يوما أى كل شهر قمرى ، وقد تشذ بعض النسوة إلا أن الغالبية لا تشذ عن هذه القاعدة .

ورغم أن العادة يصحبها صداع خفيف وبعض المتاعب الداخلية والآلام وضعف الشهية وانخفاض الروح المعنوية ، إلا أن حدوث العادة وانتظامها دليل الصحة الجيدة ، والنسوة قويات البنية غالباً ما يفلتن من هذه المتاعب ،

ومن سوء الحظ أن أقلية فقط التي يحيا في ظلها النساء في ظل مدنية هذه الأيام لا تكفل الصحة الكاملة ، والمشاهد في الغالب أن العادة الشهرية يصحبها ألم في أكثر من خمسين في المائة من النساء .

والقواعد الأساسية لضمان الصحة وسهولة مرور فترة العادة هي الراحة والنظافة ، ويجب أن تقل الأعمال والاعباء عن المرأة خلال فترة العادة ، وأن تستريح راحة تامة في اليوم الأول على الأقل ، ويستحسن عدم القيام بعمل مجهد كلعب التنس أو ركوب الدراجات في الثلاثة أو الاربعة أيام التالية لئلا تحدث مضاعفات ، والحمام الفاتر مفيد جداً وينبغي ألا يكون الماء ساخناً جداً ، والحمام البارد في هذه الفترة يعتبر مخاطرة ، ويجب غسل الأعضاء التناسلية يومياً .

وقد يحدث أن بعض الفتيات ينزل منهن سائل أبيض من المهبل ، وهو إفراز ثانوي يحدث في عنق الرحم ، وهذه الحالة تحتاج لعناية طبية خاصة لأنها قد تستمر وتصبح مصدر متاعب كثيرة ، فقد يتسبب عنها العقم أو التهابات مزمنة في الأعضاء التناسلية الداخلية .

وإفراز هذا السائل نتيجة لعدم النظافة وللتعرض للبرد عقب الدفء الشديد ، وعلاجه هو الإخلاد للراحة التامة والعلاج بوساطة طبيب مختص .